ألبير كامو

كاليجولا

مسرحية من أربعة فصول

ترجمة يوسف ابراهيم الجهماني

كـاليـجـولا

● ـ دار حوران للطباعة والتوزيع والنشر
سورية ـ دمشق ـ أشرفية صحنايا
● ـ هـ : ٦٧١٣٠٧٩ ص.ب: ٣٢١٠٥
● ـ الطبعة الأولى : ١٩٩٧

مقدمة المترجم

أنجبت فرنسا ، عبر تاريخها ، عدداً كبيراً من الوعاظ الأخلاقيين ، الذين جمعوا بين الأدب والفلسفة : ومن بين الذين أجادوا التعامل مع الريشة وكانوا من عداد المفكرين ، من أجادوا عبر مؤلفاتهم توصيف طبيعة البشر بمختلف جوانبها البسيطة وشديدة الاختلاف والمعقدة ، برز مونتانو وموليير (القرن السادس عشر) ، باسكال وفوكييه (القرن السابع عشر) ، فولتير وديدرو (القرن الثامن عشر) ، وروسو (القرن التاسع عشر) .

وما أن هلَّ القرن العشرون ، حتى ظهر على مسرح الفلسفة والأدب الفرنسي العديد من أمثال هؤلاء المفكرين : سانت ـ اكزوبيير ، مالرو ، سارتر ـ وكان البير كامو لايقل عنهم عظمة .

ولد البير كامو في السابع من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٣ في الجزائر وتوفي في الرابع من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٠ في فرنسا . كان البير كامو كاتباً وفيلسوفاً فرنسياً من الطراز الرفيع . ولد في أسرة عامل ودرس الفلسفة في جامعة الجزائر ، وكانت نشاطاته متعددة المجالات ، منها المسرح وفن الكتابة الروائية والعمل في الصحافة اليسارية بالاضافة إلى ممارسته لنشاطات اجتماعية وسياسية مختلفة .

أسس البير كامو عام ١٩٣٥ وهو لايزال في ريعان شبابه فرقة مسرحية عمالية وكان حينها عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي . ضمت هذه الفرقة

بين جناحيها لفيفاً من الفنانين والرسامين والأدباء الشباب بالاضافة إلى العمال . إلا أنه سرعان ماحل هذه الفرقة عندما حصل الطلاق بينه وبين الحزب . وانتسب بعد ذلك إلى احدى الفرق المسرحية الجزائرية . وبعد رحيله إلى باريس تفرغ للنضال السري ضد الفاشية وحينما مات البير كامو ، كان يدير أحد المسارح الكبرى في فرنسا ويشرف على أعمال فرق مسرحية جوالة أخرى . وتقول سيمون دي بوفوار حول نصوص كامو المسرحية «إن نصوص كامو المسرحية ، تبرز فيها شخصية كامو الحقيقية وقيمه الأخلاقية وأفكاره» . أما كروشاك ، فيقول عنه : إن إحدى المشكلات التي واجهته باعتباره كاتباً مسرحياً ، هي تصوير شخصيات مفردة ومقنعة ، في الوقت الذي تعالج فيه مشكلات فلسفية . إنها أسئلة الوجود والعدم ، وقيم الحرية والارادة ، كانت تتردد على الدوام في مسرحيات عدد كبير من الكتاب الذين سبقوا كامو وعاصروه ، مثل آنوي وسارتر وسيمون دي بوفوار ، لكن نصوصه أبرزت محاولات لإعادة العمل على هذه الأسئلة وفق المفهوم الاغريقي للمسرح . فالمواقف المحرجة التي تجابه الشخصيات والقدر الذي يقتحم حياتهم بشكل مفاجئ ، هي من سمات التراجيديا الاغريقية التي حاول محاكاتها .

صدر لألبير كامو عددٌ من المسرحيات الوجدانية : «الوجه والقفاء» ـ ١٩٣٧ ، «عقد القران» ـ ١٩٣٩ . كان بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي . انتقل في عام ١٩٣٩ ليعيش في فرنسا ، حيث عمل هنالك في الصحافة السرية ، منها صحيفة «كومبات» ، التي ترأس تحريرها بعد تخلص فرنسا من الاحتلال الألماني .

كتب رواية «الغريب» عام ١٩٤٢ ومؤلفه الفلسفي «أسطورة سيزيف» أيضاً في نفس السنة ، وبعد ذلك أخرج مسرحيتي «سوء تفاهم» و«كاليجولا» عام ١٩٤٤ ، اللتان أوصلتاه إلى أبواب الشهرة الواسعة . وبعد انتسابه إلى تجمع جان بول سارتر (قبل حَلِه عام ١٩٥١) ، أصدر مجموعة من الأعمال

الفلسفية والاديولوجية : «ملاحظات حيوية» ـ ١٩٥١ ، ورواية «الطاعون» ـ ١٩٤٧ ، ومسرحية انتقد فيها الدين «حالة حصار» ـ ١٩٤٨ ، وأخرى عن الثوريين اليساريين الروس «التقاة» ـ ١٩٥٠ ، انتقد فيها فكر البرجوازية الصغيرة ، الذي انتشر في أوروبا بين شرائح المثقفين ، والذي كان يدعو إلى طريق ثالث خلال معمعان «الحرب الباردة» .

أما رواية «السقوط» ، التي صدرت عام ١٩٥٦ ، فكانت تصف حالة الكاتب وهو يحاول البقاء في لجة الصراعات الاجتماعية والاديولوجية ، دون أن ينتسب إلى أحد المعسكرات المتصارعة . ولاحقاً صدرت أقاصيصه «النفي والقيصرية» ، ١٩٥٧ و «أحاديث من السويد» ـ ١٩٥٨ ، التي جاءت إثر منحه جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٧ .

وبين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٩ ، أكمل كامو اقتباساته لعدد من المسرحيات والروايات ، من ضمنها «المسوسون» لديستوفيسكي ، و«جنازة الراهبة» عن فوكنر . وفي معرض دخوله حلبة الجدل الفلسفي والفكري في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة ، كتب «أسطورة سيزيف» و«المتمرد» . كانت «أسطورة سيزيف» محاولة للبحث عن مغزى الحياة وعبارة عن تأمل فكري وفلسفي من خلال حالات قلق الانسان وهواجسه وتخوفاته .

صدر كتاب «المتمرد» عام ١٩٥١ ، الذي أثار حينها مناقشات حامية الوطيس في فرنسا وفي عدد من البلدان الأوروبية ، وكان وراء المعركة التي دارت بينه وبين سارتر ومساعده في تحرير مجلة «العصر الحديث» فرنسيس حانسون . والغاية من هذا الكتاب ، كما يقول البير كامو في المقدمة ، هي محاولة فهم روح العصر عبر التعريف بما اسماه بالجريمة المنطقية ، أو قبول واقع الحال . ويتابع قائلاً : «لعلنا نعتبر أن عصراً شرد أو استبعد أو قتل سبعين مليون نسمة ، خلال نصف قرن ، يستدعي فقط وقبل أي شيء آخر أن يحاكم» .

وفي الجزء الثاني من كتابه «المتمرد» يقول كامو : «الثورة هي النتيجة

المنطقية للتمرد والماورائية ، لأن العلاقة بينها وبين الفكرة علاقة وثيقة . وهنا موجب افتراقها عن حركة التمرد ـ حتى ولو كان تاريخاً جماعياً ، هو تاريخ ولوج في الوقائع بلا مخرج ، واحتجاج مبهم لايستخدّم مذاهب ولاأسباباً ، أما الثورة فهي محاولة لتكييف العقل مع الفكرة ولصياغة العالم في إطار نظري . لهذا يقتل التمرد أناساً ، أما الثورة فتهلك أناساً وتهدم مبادئ في الوقت ذاته» .

كانت وجهات نظر البير كامو الفلسفية تتجاوب مع أفكار المذهب الوجودي ، بغض النظر عن الخلافات التي كانت تنشب ، بين الفينة والأخرى ، بين كامو ومفكري هذا التيار الأوائل .

اعتقد البير كامو أن القرن العشرين وصل إلى حافة الافلاس ، بما تمخض عنه من تداعيات فكرية جوفاء ، كان يصفها بالأفكار العظيمة القاسية ، والتي تعبر عن عقلية لاهوتية بعيدة عن العلم ، بهدف توطيد أفكار ميتافيزيقية عن الوجود . أما الخبرة المتراكمة عن وجود البشرية ، والتي كان ثمنها الموت والدمار ، فحسب رأي كامو ، ستشرع الطريق أمام «المحال» كمصير أبدي لكرتنا الأرضية . لكن كامو يقول : يجب أن لاتخمد هذه الحقيقة عزيمتنا ، بل على العكس تماماً ، يجب أن تشحذها لتخلق قوة قادرة على متابعة الحياة بعيداً عن «الفوضى والارهاب» . وكان البير كامو يدعو دوماً إلى شحن الانسان بقيم أخلاقية روحية حقيقية في تعامله مع الطبيعة والبشر .

وفي مرحلة من مراحل حياته ، لجأ كامو إلى الوعظ الأخلاقي معتمداً على وصايا الدين المسيحي ، وفي مرحلة لاحقة طلّق ذلك وعاد ليعتمد على القواعد الاجتماعية التاريخية الثورية وأصبح يدعو إلى الأخلاق الثورية لاعتقاده بأنها أكثر عدلاً وانصافاً ، لاسيما لأولئك الذين كان يطلق عليهم «البشر الذين لايصنعون التاريخ ، إلا أنهم يتحملون اوزاره وعواقبه» .

في ابداعاته الأدبية ، رأى البير كامو أن مهمة الكاتب تنحصر في جعل العالم الفوضوي أكثر طراوة وتحويله إلى شكله الطبيعي والعادل . وفي هذا

أصبح يحث السير على طريق أدباء فرنسا المثاليين ، الذي عاشوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، بماكانوا يتميزون به من وضوح وصرامة .

توصلنا جميع مؤلفات البير كامو إلى حكايات ذات مغزى وإلى أساطير تراجيدية للأخلاق ، سادت في الكون عندما كان الانسان فيها شديد النرجسية ويعد نفسه ممثلاً للحقيقة ، شاقاً طريقه على هذا الأساس .

من الخلود الوثني في «الغريب» ، عبر المقاومة رابطة الجأش في «الطاعون» والدعوة الصادقة «لاتقتل !» في «التقاة» ، وتقصي مفهوم التمرد والقسوة المطلقة في مسرحيته «سوء تفاهم» ، وصولاً إلى المعاناة المرة منتزعة السعادة في «النفي والقيصرية» و«السقوط» .

هذا هو الطريق الذي عبده أبطال كامو في البحث المستمر والمضني عن الحقيقة في الحياة ، وتخبطهم بين الشيطان والواجب والوجدانية والتعاون بروح العصيان والتنحي أحياناً أخرى - إنها شواهد جلية على عدم التوازن الروحي ، الذي كان سائداً بين أدباء أوروبا في منتصف القرن العشرين .

كتب البير كامو مسرحية «كاليجولا» عام ١٩٣٨ وهو في سن الخامسة والعشرين ، وإلى يومنا هذا يعدها النقاد أفضل مسرحياته . بالاضافة إلى كونها أكثر إثارة للجدل والشهرة ، نجد فيها عصياناً شيطانياً ضد القدر ، قدمه لنا مؤلفها وهو في الطريق للبحث عن معالجة لمشكلة الحرية . لذا أقدم كامو على اختيار حاكم مطلق كبطل لمسرحيته هذه - هو الذي الذي يشرع القوانين ، وهو الذي يخرقها ويبدل فيها كما تهوى نفسه ، وغالباً مايزدريها ، متباهياً بأنه لم يتوقف قط عن تعليم قومه دروساً في الحرية . لكنه في النهاية لم يتوصل إلى شيء ، لدرجة أنه أخذ يقتنع بأن الحياة مقبض ريح لامغزى لها . وتستولي على بطلنا نظرة تشاؤمية عن الحياة بكل تلاوينها ، فيتساوى عنده الحياة والموت ، العدل والظلم ، القليل والكثير ، الحزن والفرح ، الانسان والحيوان ، وتصبح الحياة - حسب رأيه - غير جديرة بيذل أية جهود ، لأن الأمر سيان فيها . هذه

الأمور جميعها ، أدت إلى سيطرة الجسد والشهوات على العقل وفقدان الأمل واليأس .

كاليجولا الطاغية ، الذي كان يبحث عن المستحيل ـ هو نموذج الرجل المتمرد ، رجل الارادة المطلقة ، التي تريد أن تتحدى ارادة الآلهة . إنه جلجامش ، قد فقد بموت شقيقته التي هي حبيبته في آن واحد ، فقد معنى الحياة . وهنا نجد أن حادث موت انكيدو وصديق جلجامش وعشيقه في آن واحد ، يشابه أشد الشبه موت دروزيلا شقيقة كاليجولا ، الذي أعلن عزمه على الزواج منها ، على الرغم من أن هذا الحب كان مخالفاً لناموس الآلهة . ويُقابل هذا التمرد على نواميس الآلهة ، يقابل عادة بالموت التراجيدي ، الأمر الذي لقاه كاليجولا .

لقد كرس البير كامو ـ الشاب ابن السادسة والعشرين ـ هذه المسرحية المبكرة لامبراطور روماني ، كان يقاربه سناً . كاليجولا ـ ذلك البطل الفذ الذي جرؤ على أن يسمو على الآلهة ، هاهو يقول : «من هو هذا الإلهْ ، كي أرغب في أن أتساوى معه ؟ إن الذي أسعى إليه الآن مستخدماً كامل قواي ، هو أن أترفع عن جميع الآلهة . إنني أتولى سلطة دولة عظمى لامرد فيها لحكم المستحيل» (الاقتباس من مسرحية كاليجولا) .

عرّض كاليجولا نفسه بنفسه لمحنة إنسانية مفجعة ، الأمر الذي يجعلنا نصاب برعشة مقدسة عند رؤية الامبراطور الروماني في «انتحاره السامي» .

تنبع الثقة بالذات عند كاليجولا بصفته منافساً للآلهة «سيمفونية المنافسة» وينشغل كاليجولا الشرير والطيب ، الغاضب والوديع ، المحتدم والمرهف الحواس ، ينشغل بحماس مفرط أمام اسماعنا وأبصارنا بحل لغز عويص هو : كيف يجب أن يكون الانسان ؟ هل يكون عبداً لسيده ، أم عبداً لقناعاته الذاتية ؟ أظن أن العبودية قائمة في كلا الحالتين ، لكن العبودية في الحالة الثانية تعادل مأثرة تسمى «الحرية» .

إن كاليجولا شرير موهوب جداً ومعذب للذات ، عبقري فعلاً والتعامل معه صعب ، حتى لو كان يرغب في ذلك رغبة شديدة . تمثل الوحدة الفطرة الحقيقية لكاليجولا وتقرر مصيره .

وبالرغم من إخفاق كاليجولا في الامساك بالقمر بيديه ، كما كان يحلم ، فقد أفلح في اثارة ذهول كل من يحيط به على وجه البسيطة . وتذكرنا أفعال الامبراطور في عروضها المسرحية كل مرة بحفرة فائرة تجذب بقوة كل شيء إلى دوامة الأحداث . ويبدو هنا القمر الذي لم يستطع كاليجولا مد يديه للامساك به قريباً جداً ، فهو ظاهر عن كثب ، ويكتسب المقدرة على التعاطف مع آلام الناس .

يمكننا وصف مسرحية «كاليجولا» بأنها اسطورة شعرية عن المحاسبة البشرية ، في الوقت الذي نجد فيه بطلها ضحية قطبي الصراع ، حينما تتراءى وحدته ظاهرة للعيان في حد ذاتها .

أخيراً : لقد قتلوا كاليجولا وكتموا أنفاسه ، ثم صبوا عليه الضربات من جميع الجهات وكأنهم صلبوه كما يصلب المسيح تكفيراً عن خطايا البشر ، منذ آدم حتى عصره . وهكذا انقلب تحرير كاليجولا إلى تشنيع به .

أثار البير كامو تلك الحقائق الأليمة لقدر الموت البشري ، من خلال تلك الآثار المرعبة التي ظهرت على من تربع على عرش روما «كاليجولا» ، حينما بدأ يقذفنا بتراجيديات متتالية . فكاليجولا ، في معارك ألفاظه ، التي مافتئ يشنها يذكرنا بقلم كامو وفلسفته الوجودية ، طبعاً لامن جهة أراجيح جرائمه .

فهذا الفتى الذي ترعرع على مشاهدة الدماء ، نجده حينما فقد عشيقته (أخته» وعندما رآها جثة هامدة ، نجده قد وعي : أن الحياة عاجلاً أم آجلاً ستنتهي بالموت ، وسرعان ماعوَّد نفسه على القتل ، لأن الحياة أصبحت عنده لاأهمية لها . ناصره في ذلك القليل من أنصاره ، أما الآخرون فكانوا يعتقدون أنه سيعود عن غيه ، حينما يستعيد رشده . لكن كاليجولا «الامبراطور» لم

يكتف بحصد رؤوس البعيدين عنه ، بل مالبث حتى أخذ يقرب دائرة الموت لتضم أقرب الناس إليه ، ومن يشاطرونه الحكم وصولاً حتى فراش الغرام . والأنكى من ذلك أنه أخذ يحاول أن يعمم هذا المفهوم ، باذلاً مابوسعه من جهود لإقناع قومه به . وأخذ كاليجولا يقرن الشيطان بالقدر وبالاستهزاء من الآلهة ، دون استثناء ، محاولاً أن يصل إلى حقيقة الحقائق في عالم خالٍ من الحقائق .

وحسب كاليجولا ـ لايوجد في هذا الكون فرق بين الجريمة والفضيلة ، بين الشر والخير ، بين الجنون والعقل ، بين الموت والحياة . . . نظراً لغياب القيم . فالعالم تسيطر عليه النزوات والهيولى . وهنا كأني به يكرس نفسه معلماً وواعظاً وداعية للحرية . لكن أية حرية ، حريته فقط ، مستخدماً حريات الآخرين جميعاً لتخدمها .

هيهات أن يكتفي كاليجولا بذلك ، بل أخذ يذهب بعيداً إلى درجة الرغبة في إعدام كل حرية وُهبت له مع صاحبها . فهو لايكتفي بقتل الجسد ، بل يتخطى ذلك إلى الروح .

إن هذه المسرحية ومأأتت به أفكار فلسفية ورموز وبطبيعتها التراجيدة ، تعبر عن أفكار البير كامو الوجودية ، عندما كان قريباً جداً من سارتر «الوجودية» .

شخصيات المسرحية

كاليجـولا : (يتراوح عمره بين الخامسة والعشرين والتاسعة والعشرين)

سيزونيا : خليلة كاليجولا ، وتبلغ الثلاثين

هيليكون : صديق مقرب من كاليجولا ويبلغ الثلاثين

سيبيون : فتى في السابعة عشر

شيريا : في الثلاثين

الشريف المسن : في الواحد والسبعين

الشريف الأول : ميثيليوس

الشريف الثاني : لوسيوس تترواح أعمارهم بين

الشريف الثالث : ليبيدوس الأربعين والستين

الشريف الرابع : اوكتافيوس

رئيس ديوان الامبراطور : في الخمسين

ميريا : في الستين

موسيوس : في الثالثة والثلاثين

زوجة موسيوس

الخفير الأول

الخفير الثاني

الخادم الأول

الخادم الثاني

الخادم الثالث

الشاعر الأول

الشاعر الثاني

الشاعر الثالث

الشاعر الرابع

الشاعر الخامس

الشاعر السادس

الشاعر السابع

تجري الفصول ، الأول والثالث والرابع في قصر كاليجولا ، أما الفصل الثاني ففي منزل شيريا .

الزمن بين الفصل الأول والفصول الأخرى ثلاث سنوات .

الفصل الأول

المشهد الأول

(النبلاء مجتمعون في قاعة القصر ، أحدهما طاعن السن ويظهر على جميعهم الاضطراب)

النبيل الأول : لايوجد أية أخبار .

النبيل المسن : لامن الصباح ولامن المساء .

النبيل الثاني : مرت ثلاثة أيام ، دون أية أخبار .

النبيل المسن : يغادر الرسل ويعودون ليهزوا رؤوسهم قائلين : «لايوجد أية أخبار» .

النبيل الثاني : مسحوا جميع المناطق بلا جدوى ، لايمكننا أن نفعل أكثر من ذلك .

النبيل المسن : شاهدته كيف غادر القصر . كانت عيناه تبرقان بريقاً غريباً .

النبيل الأول : كنت هناك أيضاً ، وسألته عن سبب حالته هذه .

النبيل الثاني : وهل أجاب ؟

النبيل الأول : تفوه بكلمة واحدة : «لاشيء» .

(تمضي برهة ، يدخل هيليكون يمضغ بصلة)

النبيل الثاني : (مازال بحالة اضطراب) . شيء يشغل البال .

النبيل الأول : ايه ، شباب طائش .
النبيل المسن : نعم ، يزول هذا مع مرور الزمن .
النبيل الثاني : أتظنون ذلك ؟
النبيل الأول : نأمل ، إنه سيسلو .
النبيل المسن : طبعاً ، إذا فقد احداهن ، يجد عشرات أخريات .
هيليكون : من قال لكم أن الأمر متعلق بالحب ؟
النبيل الأول : باي شيء آخر أيضاً ؟
هيليكون : قد يكون كبده أصيب بالمرض . أو أن مشاهدتكم اليومية تثير اشمئزازه . فقد تستطيع احتمال رؤية المحيطين دائماً ، لو أنهم يستطيعون ، من وقت إلى آخر ، تبديل طلعاتهم غير أنهم وبشكل دائم على نفس الوجوم ، دائماً ذات اليَخْنَة .
النبيل الأول : أود أن يبقى الأمر متعلقاً بالحب . فهو أكثر شغلاً للبال .
هيليكون : سلواني ، والأهم أنه أكثر سلوانية من غيره . إنه أمر لايرحم لا الأذكياء ولاالمجانين .
النبيل الأول : مهما كان عليه الأمر . إن الأحزان ، لحسن الحظ ليست أزلية . هل أنتم قادرون على تحمل معاناة الأحزان أكثر من عام واحد ؟
النبيل الثاني : أما عن نفسي ، فلا .
النبيل الأول : هذا ليس في وسع الانسان .
النبيل المسن : لو كان الأمر كذلك ، لتعذرت الحياة .
النبيل الأول : أترون ؟ تعلمون أني فقدت زوجتي في السنة الماضية . بكيت عليها كثيراً ، لكنني أخيراً سلوتها . ينتابني الحزن أحياناً ، غير أن الأمور تسير ، بشكل عام ، على مايرام .
النبيل المسن : بنت الطبيعة كل شيء بعقل .
هيليكون : عندما انظر إليكم ، ينتابني احساس بأن الطبيعة تخطأ أحياناً .

(يدخل شيريا)

النبيل الأول : ايه ، ماذا ؟

شيريا : كما في السابق ، لاأخبار .

هيليكون : الهدوء ، الهدوء ، ياسادة . يجب أن نحافظ على هدوئنا . الامبراطورية الرومانية ، هي نحن . فإذا فقدنا ماء وجوهنا ، تفقد الامبراطورية رأسها . والآن الوقت غير مناسب ، نعم غير مناسب ! دعونا الآن نتوجه لتناول طعام الافطار . وهذا سيكون لصالح الامبراطورية .

النبيل المسن : صحيح ، لايجوز أن ننسى أحوالنا ، عند كل حادثة أو تخيلات ما .

شيريا : هذا لايعجبني . غير أن الأمور لاتزال تسير بصورة حسنة . كان امبراطوراً مثالياً .

النبيل الثاني : نعم ، لكن من نحتاجه : هو الشريف الغر .

النبيل الأول : ايه ، ماذا جرى لكم ، لماذا هذا التأوه ؟ لما لايستمر على تلك الروح ؟ نعم ، أحب دروزيلا ، لكن ، في نهاية المطاف كانت شقيقته ، يكفي أنه كان يضاجعها . فهل يجب أن تهتز روما قاطبة لأنها ماتت ، ـ هذا يتعدى جميع الحدود .

شيريا : سيان . غير أنني غير مطمئن على اختفائه . إنه أمر مبهم عندي أيضاً .

النبيل المسن : نعم ، لادخان بلا نار . . .

النبيل الأول : على أي حال ، من أجل مصلحة الامبراطورية ، لايجوز أن نسمح لسفاح القربى أن يتحول إلى مأساة . ليكن سفاح القربى محرماً . . . لكن دعوه يعيش بيننا في الخفاء .

هيليكون : أترون ، هذا سفاح القربى يثير ضجيجاً ما . السرير يصرصر ، إذا كان يجوز التعبير كذلك . حقاً ! من الذي قال لكم أن الأمر

يتعلق بدروزيلا ؟

النبيل الثاني : إذا لم يتعلق الأمر بها ، فبأي شيء آخر إذن ؟

هيليكون : تتحزرون . أتدركون أن التعاسة كالزواج . تظن أنك حر الاختيار ، ويتبين أنهم اختاروك . وعندها لاتستطيع عمل أي شيء . صاحبنا كاليجولا تعيس ، إلا أنه قد يكون لايعرف لماذا ! فعلى الأغلب ، شعر كأنهم مسمروه إلى الحائط ، لهذا هرب . ولو حدث معنا ، ماحدث معه ، لتصرفنا كما تصرف . خذوني ، على سبيل المثال ، فلو أعطيت امكانية اختيار أبي ، لفضلت أن لاأخلق .

(يدخل سيبيون)

المشهد الثاني

شيريا : أهناك أخبار ؟

سيبيون : حتى الآن ، لا . بعض الفلاحين يزعمون أنهم شاهدوه البارحة يركض ، بالقرب من هنا في خضم العاصفة .

(يعود شيريا إلى مجلس النبلاء ، يتبعه سيبيون)

شيريا : انقضى ثلاثة أيام ، ياسيبيون ؟

سيبيون : نعم ، كنت موجوداً في حضرته كالعادة ، وشاهدت كل شيء . دنا من جسد دروزيلا ، ومسحها ملامساً بأطراف أصابعه . بعد ذلك ، أجال الفكر ، دار إلى الخلف وغادر بخطى حثيثة ومصممة . ومنذ ذلك الوقت وهم يبحثون عنه .

شيريا : (هازاً رأسه) . كان هذا الفتى على أشد التعلق بالأدب .

النبيل الثاني : هذا طبيعي ، عند من هم في مثل سنه . . .

شيريا : لكن هذا لايناسب مقامه . امبراطور وفنان ! لايدخل هذا في العقل . نعم ، عرف التاريخ انسانا آخراً على شاكلته . دائماً يوجد

نعاج جرباء . لكن القاعدة تقول أن أغلبهم كانوا سليمي الذوق ، واكتفوا بتأدية واجباتهم الوظيفية .

النبيل الأول : لكان هذا أكثر راحة واطمئناناً .

النبيل المسن : لكل حرفته .

سيبيون : ما العمل ياشيريا ؟

شيريا : لاشيء في وسعنا عمله .

النبيل الثاني : لننتظر . فإن لم يعد ، نصبنا غيره امبراطوراً ، ولاأفشي سراً إذا قلتُ ، عندنا مايكفي من الأباطرة .

النبيل الأول : نعم ، لاينقصنا شخصيات حقيقية .

شيريا : وإذا عاد ، وكانت حالة روحه خطيرة ؟

النبيل الأول : صدقوني ، إنه لايزال طفلاً ، سوف نستطيع أن نضعه على الطريق السليم .

شيريا : وإذا لم يرغب بالاستماع إلى نصائحنا ؟

النبيل الأول : (ضاحكاً) ويحك ! انسيت أني دبرت في زمن ما مؤامرة انقلاب حكومي ؟

شيريا : لا لن أنسى ، لكن إذا احتاج الأمر ! إلا أنني أفضل أن أبقى مع كتبي . . .

سيبيون : استميحكم عذراً . **(يخرج)** .

شيريا : استاء صاحبنا .

النبيل المسن : إنه صبي . والصبا يناصر بعضه الآخر .

هيليكون : يناصر أم لا ، فالأمر سيان .

(يظهر خفير معلناً : شاهدوا كاليجولا في حديقة القصر . يخرج الجميع) .

المشهد الثالث

(تبقى خشبة المسرح لعدة ثوان خالية . فجأة وخلسة من اليسار

يدخل كاليجولا . هيئته مضطربة ، ملابسه ملوثة ، شعره مبلول ، قدماه تعجان قذارة . يُنَقِل يده ليضعها على فمه مرات عدة . يتقدم من المرآة متمعناً صورته . يتأتئ بكلمات غامضة . بعدها يتجه يميناً ويجلس واضعاً ذراعيه بين ساقيه المتباعدتين . برهة صمت . يدخل هيليكون من اليسار . يقف في زاوية خشبة المسرح صامتاً ، حينما يلمح كاليجولا . يدور كاليجولا فيراه . تمضي برهة صمت . . .)

المشهد الرابع

هيليكون : (بصوت عال) مرحباً ياكايوس !

كاليجولا : (بصوت منخفض) . مرحباً ياهيليكون !

(برهة صمت)

هيليكون : تبدو متعباً .

كاليجولا : سرت طويلاً .

هيليكون : نعم ، فقدناك طويلاً .

(برهة صمت)

كاليجولا : كان من الصعوبة بمكان أن تجدوه .

هيليكون : نجد ، ماذا ؟

كاليجولا : ذاك ، الذي أريده . . . .

هيليكون : وماذا أردت ؟

كاليجولا : (بهدوء) : القمر . . .

هيليكون : ماذا ؟

كاليجولا : نعم ، أردت القمر .

هيليكون : آه . (برهة صمت ويدنو منه) : ولماذا ؟

كاليجولا : هكذا ـ إنه أحد الأشياء التي لاأملكها . . .
هيليكون : مفهوم . والآن ، هل كل شيء على مايرام ؟
كاليجولا : كلا ، لم استطع الحصول عليه . . .
هيليكون : هذا مما يؤسف له .
كاليجولا : نعم ، لهذا أصبحت منهكاً . **(برهة صمت)** .
كاليجولا : ياهيليكون !
هيليكون : نعم ، ياكايوس .
كاليجولا : هل تظن أنني فقدت عقلي ؟
هيليكون : أنت تعرف حق المعرفة ، أني لاأظن بذلك أبداً .
كاليجولا : نعم ، أعرف . ومع ذلك أنا لم أفقد عقلي . بل على العكس تماماً ، إنني الآن أصفى ذهناً من أي زمن مضى . والأمر ببساطة ، هو في أنني شعرت فجأة أني بحاجة لشيء مستحيل التحقق **(برهة صمت)** . وحسب وجهة نظري ، إن نظام الأشياء سيءٌ ، لايفيد أبداً ولايرضيني . . . .
هيليكون : إنها وجهة نظر شائعة ! . .
كاليجولا : حقاً ! إلا أنني لاأعلم هذا من قبل . أما الآن ، والآن فقط ، أدركت ذلك . **(مازال محتفظاً بصوته الهادئ الطبيعي)** .
هذا العالم بحالته ، التي هو عليها ، لايطاق . لهذا احتاج إلى القمر أو الفردوس أو الخلود ، لأي شيء ، حتى لو كان جنونياً ، فقط أن لايكون . . من هذا العالم .
هيليكون : إنه استدلال عقلي منطقي . لكن هنالك قلة من البشر ، مَنْ تستطيع أن تسير على هذا المنطق حتى نهاية الطريق .
كاليجولا : **(يقف ، محتفظاً بهدوئه)** . أنت لاتفقه شيئاً من هذا . لذا لايجوز الظفر معك بأي شيء ، لأن البشر لايكونون على منطق مطلق .

إلا أنه قد يكون من الواجب فقط ، أن نبقى منطقيين حتى النهاية . **(يتأمل هيليكون)** . اعلم مايدور بخلدك . أنت تقول بينك وبين نفسك : كم من الضجيج حدث بسبب موت امرأة واحدة ؟ لا ، الأمر ليس كذلك . حقاً ، كأنني أتذكر أنه منذ عدة أيام ماتت الامرأة ، التي أحببت . لكن ماهذا الذي يدعونه حباً ؟ سخافة . فالموت هنا ليس له أية علاقة . أصدُقَكَ القول . إنه اشارة تعني الحقيقة ، التي لولاها لما احتجت القمر . إنها حقيقة بسيطة وواضحة ، لعلها سخيفة بعض الشيء ، إلا أنه من الصعوبة بمكان التصريح بها للنفس ، ولاطاقة لي على احتمال ذلك .

هيليكون : ماهي إذاً الحقيقة ، ياكايوس ؟

كاليجولا : **(يسير متحدثاً بصوت مبهم)** . يموت الناس وهم ليسو سعداء .

هيليكون : **(برهة صمت)** . استمع ياكايوس . قد يكون أن الناس أَلِفوا هذه الحقيقة وتأقلموا معها بشكل جيد . تأمل حواليك . تجدها لاتأخذ من شهية الناس شيئاً .

كاليجولا : **(ينفجر فجأة)** . إذاً ، كل ماحولي كذب ورياء . أما أنا فاريد أن أجبرهم على العيش بصدق وشرف ، وأملك لذلك الوسائل الكافية ياهيليكون . إنهم لايتمتعون بحيواتهم . وأعلم أن الذي ينقصهم هو المعرفة وينقصهم المعلم الذي يعي مايتحدث به . . .

هيليكون : لاتنزعج ، لاتنزعج أرجوك ياكايوس ، إذا قلت لك أنك تحتاج لقسط من الراحة .

كاليجولا : **(يجلس ويتحدث بلطف)** . لاأستطيع ياهيليكون . لا الآن ولافي المستقبل .

هيليكون : لماذا ؟

كاليجولا : إذا ذهبت إلى النوم ، فكيف سأحصل على القمر ؟

هيليكون : **(برهة صمت)** . هذا حق ! صدقت .

(يقف كاليجولا ، بجهد واضح) .

كاليجولا : ياهيليكون . اسمعْ وقع أقدام مقبلة وضجيج أصوات فعليك أن تمسك لسانك وتنسى أنك رأيتني .

هيليكون : سمعاً وطاعة .

كاليجولا : ياهيليكون ، من فضلك ساعدني من الآن فصاعداً .

هيليكون : لا توجد عندي أسباب تجعلني أن لاافعل ذلك ، ياكايوس . غير أني لأأعرف الكثير وهنالك القليل الذي أهتم به . فبأي شيء أستطيع أن أقدم لك يد العون ؟

كاليجولا : في إدراك المستحيل .

هيليكون : سأحاول .

(يخرج كاليجولا . ويدخل للتو سيبيون وسيزونيا بتؤدةٍ) .

المشهد الخامس

سيبيون : لم نجد أحداً . ألم تره ياهيليكون ؟

هيليكون : كلا .

سيزونيا : أصدقني القول ياهيليكون ، أحقاً لم تقل شيئاً قبل أن يبرحنا ؟

هيليكون : أنا لم أكن كشتباناً في يده ، لست أنا سوى مشاهد ، وهذا أكثر حكمةً .

سيزونيا : أتوسل إليك .

هيليكون : ياعزيزتي سيزونيا . إن كايوس رجل مثالي ، وهذا معروف لدى الجميع . أما إذا أردنا التحدث بطريقة مغايرة فنجد أنه لزاماً علينا الاقرار بأنه لم يع حالته بعد . أما أنا فأدركت ذلك ، لذا لم أتدخل في الأمر . لكن لو عاد كايوس إلى رشده ، فلسوف

يتدخل في كل شاردة وواردة . . . الرب وحده عندها سوف يعلم إلى ماستودي بنا الأمور . عذركم ، أيها السادة فقد حان وقت الغداء . (يخرج) .

المشهد السادس

(تجلس سيزونيا بتراخٍ)

سيزونيا : شاهده الخفير وهو قادم إلى هنا . وكل من في روما يشاهده في كل مكان . وكاليجولا لايرى سوى فكرته .

سيبيون : أية فكرة ؟

سيزونيا : من أين لي أن أعرف ياسيبيون ؟

سيبيون : أهي دروزيلا ؟

سيزونيا : من يستطيع الجزم ؟ إلا أنه كان يعشقها حقيقة . وهذا في الحقيقة أمرٌ مرٌ وحزينٌ . إنك تحزن حينما تتحول الامرأة ، التي كنت تعانقها ليلة البارحة إلى جثة هامدة .

سيبيون : (في خجل) وماذا عنك ؟

سيزونيا : ماأنا سوى عشيقة قديمة .

سيبيون : لكن ، نحن بحاجة لانقاذه ياسيزونيا .

سيزونيا : أيعني ذلك أنك تحبه ؟

سيبيون : نعم ، أحبه . كان لطيفاً معي وأحسن إليّ وبعث بي النشاط . لاأزال أتذكر كلماته . قال : إن طريق الحياة وعرٌ وشاق بدون مساعدة الدين والفن والحب . وكان عادة مايكرر قائلاً : يقع في ضلالة ، كل من كان سبباً في آلام الآخرين . أراد أن يصبح عادلاً .

سيزونيا : (تقف) لقد كان طفلاً ! (تدنو من المرآة وتتأمل صورتها) . لم يكن لديَّ في يوم من الأيام اله آخر ، سوى جسدي . وأنا أصلي

لهذا الاله اليوم ليعيد إليَّ كايوس .

(يدخل كاليجولا . وعندما يشاهد سيزونيا وسيبيون يتردد بالدخول . وفي نفس اللحظة يدخل النبلاء ورئيس ديوان الامبراطور من الجهة الأخرى لخشبة المسرح . يقفون في حالة ذهول . تلتفت سيزونيا وسوية مع سيبيون يجريان باتجاه كاليجولا . إلا أنه يصدهما باشارة من يده) .

المشهد السابع

رئيس ديوان الامبراطور : (متردداً) . كنا . . . كنا نبحث عنك يامولاي .

كاليجولا : (قاطب الوجه ، بصوت جاف) . أرى ذلك .

رئيس ديوان الامبراطور : نحن . . . أي . . . نحن . . .

كاليجولا : (بحدة) . ماذا تريد ؟

رئيس ديوان الامبراطور : شغلت بالنا عليك يامولاي . . .

كاليجولا : لأي سبب ؟

رئيس ديوان الامبراطور : هه . . ها . . هه . . ام . . ام . . ام . **(وفجأة كأن الهاماً برق في رأسه فتسابقت الألفاظ إلى لسانه)** . يامولاي ، إنك تعلم أن هنالك مسائل تتعلق بالخزينة تنتظر قرارك .

كاليجولا : (ينتابه ضحك متواصل) . الخزينة ؟ أي ، نعم ، طبعاً الخزينة ـ إنه أمر جدي وخطير .

رئيس ديوان الامبراطور : طبعاً ، يامولاي .

كاليجولا : (ينظر إلى سيزونيا ضاحكاً) . أهذه هي الحقيقة ياعزيزتي ، الخزينة ـ إنه أمر هام جداً ؟ .

سيزونيا : لا يا كاليجولا ، الخزينة ـ أمر يأتي بالدرجة الثانية .

كاليجولا : أنت بيساطة لاتفقهين في هذه الأمور . لاجدل حول ما إذا كانت الخزينة تحتل أهمية عظيمة . كل شيء مهم : الأموال ، الأخلاق العامة ، السياسة الخارجية ، امداد وتموين الجيش والقوانين العقارية . ما من شيء إلا وهو جدير بالاهتمام . وكل الأمور في الأهمية سواء . عظمة روما وأزمات التهاب مفاصلك سواء بسواء . نعم ! سأقوم بكل هذا . اسمع يارئيس الديوان .

رئيس ديوان الامبراطور : كلي آذان صاغية يامولاي .

(يدنو النبلاء من كاليجولا أكثر) .

كاليجولا : إنك مخلص لي ، أليس كذلك ؟

رئيس ديوان الامبراطور : (بلهجة عتاب) . يامولاي !

كاليجولا : حسن ، لدي خطة أود أن أعرضها عليك . سوف نقلب سياستنا الاقتصادية رأساً على عقب . سأشرح لك كل شيء يارئيس الديوان . . . عندما يغادر النبلاء .

(ينصرف النبلاء)

المشهد الثامن

(يتمجلس كاليجولا بالقرب من سيزونيا محيطاً خصرها بذراعه)

كاليجولا : اصغِ باهتمام . القرار الأول : على جميع النبلاء والشخصيات الأخرى في الامبراطورية ، الذين يحوزون على ملكيات خاصة كبيرة كانت أم صغيرة ـ وهنا هاتان الحالتان متساويتان ـ عليهم أن لايلجأوا ، من الآن فصاعداً ، إلى توريث أبناءهم وأن يسجلوا جميع وصاياهم باسم الدولة .

رئيس ديوان الامبراطور : ماهذا يامولاي ؟ . . .

كاليجولا : لم اسمح لك بالحديث بعد . وعلى قدر الاقتضاء ، سوف نباشر

بقتل هذه الشخصيات وفق جدول موضوع بشكل عشوائي . وإذا اقتضى الأمر ، سنقدم على تبديل الدور ، أيضاً بشكل عشوائي .

سوف نرث كل شيء .

سيزونيا : (**تفلت نفسها من ذراعه وتتنحى جانباً**) ماذا دهاك !

كاليجولا : (**برصانة**) في الواقع ، إن النظام الذي سيجري فيه تنفيذ أحكام الاعدام ليس مهماً . والأصح أن جميع الأحكام لها ذات الأهمية ، الأمر الذي يجعلنا نقول أنها بالكامل لاوزن لها .

على أية حال ، هؤلاء أم سواهم ـ الجميع مذنبون . ولاحظ هنا ، على سبيل المثال ، أن سرقة المواطن ، بشكل مباشر ، أمر لايقلُ أخلاقية ، عن ذلك ، الذي عنده تفرض ضرائب مصطنعة على اسعار المواد ذات الضرورة الأولية . أن تتولى الادارة ـ هذا يعني أن تسرق ، وهذا ماهو جلي للجميع ، لكنه اختلاف في الطرق فقط . أما أنا فسوف أنهج أسلوب السرقات المباشرة . وهذا مايُعزز موقفنا في تحرير الشرائح الدنيا من المجتمع . (**يستدير فجأة ويتوجه إلى رئيس الديوان**) . نفذ هذا القرار ، دون إبطاء . يجب على جميع سكان روما أن يكتبوا وصاياهم اليوم مساءً . أما سكان المقاطعات ـ فخلال شهر واحد على ابعد تقدير . أوفد الرسل .

رئيس ديوان الامبراطور : يامولاي ! أنت لاتدرك معنى هذا الأمر ... .

كاليجولا : اصغ إليَّ جيداً ، أيها البليد . عندما يكون للخزينة هذه الأهمية ، فلن يكون للحياة الانسانية أهمية تذكر . اليس هذا واضحاً ؟ وجميع من يفكر على شاكلتك ، يجب أن يكونوا على اشد وفاق مع مثل هكذا قرار ، مفترضين أن حيواتهم ستبقى عديمة الأهمية ، عندما تصبح النقود شغلهم الشاغل . منذ هذه اللحظة ، قررت أن أصبح منطقياً . وبما أنني أملك السلطة ، فسترون أي ثمن

ستدفعونه جراء هذا المنطق . سوف أبيد التناقض والمتناقضين . وإذا استدعت الضرورة ، سوف أبدأ بك .

رئيس ديوان الامبراطور : اقسم لك يامولاي ! أن ارادتي الخيرة لاتخضع لأي شكوك .

كاليجولا : وسلامة نيتي أيضاً . تستطيع الثقة بي . والبرهان على ذلك ـ هو اقدامي على اعتناق وجهة نظرك في اعتبار أن خزينة الدولة موضوع يستحق التفكير والاهتمام . بكلمات أخرى ، يجب عليك أن تشكرني لأنني بدأت أتقبل لعبتك والعب بأوراقك . **(تمضي برهة صمت وهدوء)** . لذا تصبح خطتي واضحة وبسيطة ، ولذا أيضاً سنوقف المناقشات . وامامك ثلاث ثواني لكي تختفي وسأبدأ العد : واحد . . . **(يختفي رئيس ديوان الامبراطور)**

المشهد التاسع

سيزونيا : انني لأأعرفك كذلك ! لعلك تمزح ؟

كاليجولا : ليس تماماً ياسيزونيا . إنه درس في التربية .

سيبيون : لكن هذا أمر مستحيل ، ياكايوس !

كاليجولا : لهذا أنا متمسك به .

سيبيون : أنا لاأفهمك .

كاليجولا : إني أتمسك بالمستحيل هذا والحديث يدور هنا عن غير الممكن ، والأصح عن أمر نجعل فيه المستحيل ممكناً .

سيبيون : لكنك تلعب لعبة شديدة الخطورة . إنها تسلية للمجانين .

كاليجولا : كلا ياسيبيون . إنها رسالة الامبراطور . **(يطعج جسمه إلى الخلف وتبدو علائم تعب وإعياء على وجهه)** . أخيراً ، أدركت فائدة

السلطة . إنها تعطي للمستحيل حظوظاً ما . ومن الآن فصاعداً ، سوف أترك العنان لحريتي لتجول أينما تريد ، دون حدود .

سيزونيا : **(بحزن)** . هل مثل هذا الأمر يجلب الغبطة ياكايوس؟ لاأعرف.

كاليجولا : ولاأنا أيضاً . غير أني أظن ، أنه يجب علينا أن نتعايش مع هذا . **(يدخل شيريا)** .

المشهد العاشر

شيريا : علمت بعودتك . أصلي للآلهة من أجل أن تبقى صحتك بخير .

كاليجولا : صحتي ، إنها تقدم لك آيات الشكر . **(تمضي برهة ثم يردف فجأة ويتحدث)** . اغرب عن وجهي ياشيرياالأريد أن أراك ثانية .

شيريا : هذا مايدهشني ، ياكايوس .

كاليجولا : لاتندهش . لاأحب الأدباء ولاأتحمل أُفكهم . يتكلمون بذلك الشكل ، الذي لايسمعون فيه أنفسهم . وإذا سمعوها ، تبين لهم مقدار تفاهاتهم ، وعلى الأثر ، يصمتون .

لا ، يكفيني شهاد زور . إني أمقتهم .

شيريا : إذ كذبنا أحيانا ، يكون كذبنا دون قصد . وهذا يدفع التهمة .

كاليجولا : الكذب لايكون بريئاً .وكذبتك تترك أثراً وأهمية عند الناس والأشياء . لهذا لاأستطيع أن أصفح عنك .

شيريا : ومع ذلك ، يجب الوقوف لحماية هذا العالم ، طالما نرغب أن نعيش فيه .

كاليجولا : لاضرورة للحماية . انتهت المحاكمة . لاأهيمة لهذا العالم . ومن يدرك ذلك ـ يستحوذ على الحرية . **(يقف)** . أكرهكم ، لأنكم لستم أحراراً . ولايوجد في امبراطورية روما انسان حر سواي . افرحوا فقد ظهر عندكم ، في نهاية المطاف امبراطور سيلقنكم

دروساً في الحرية . أغرب عن وجهي ياشيريا ، وأنت ياسيبيون أيضاً . فالصداقة أصبحت مهزلة . أَعْلِموا روما ، أنها قد استعادت حريتها أخيراً وأنها ستبدأ عهداً حافلاً بالتجارب والمحن . . . .

(يخرجون ، يدير كاليجولا ظهره) .

المشهد الحادي عشر

سيزونيا : أتبكي ؟

كاليجولا : نعم ياسيزونيا .

سيزونيا : لكن ، ماالذي تغير في الجوهر ؟ نعم ، كنت تعشق دروزيلا ، لكنك في نفس الوقت ، كنت تعشقني والكثيرات غيري من النساء . وموتها ، لايبرر اختفاءك ثلاثة ايام بلياليها تحت سماء عارية وأن تعود بمثل هذا الوجه الغريب المتجهم .

كاليجولا : **(يدير وجهه)** . من يتحدث معك عن دروزيلا ، أيتها الحمقاء ؟ ألا يخطر ببالك قط ، أنه قد يبكي رجل ما دون أن يكون العشق سبباً .

سيزونيا : اعذرني ياكايوس . أردت استجلاء الأمر .

كاليجولا : يبكي الناس ، لأن الأمور تجري لاكما ينبغي لها أن تجري **(تدنو منه)** . دعينا ياسيزونيا **(تتراجع سيزونيا)** لكن ابقي معي .

سيزونيا : كما تشاء **(تجلس)** . وفي عمري هذا ، أعرف أيضاً أن الحياة بالنسبة لنا رذيلة . إلا أنه إذا وُجد شرٌ على هذه الأرض ، فلماذا نسعى إلى مضاعفته ؟

كاليجولا : أنت لاتفهمين ماأريد . لايهم . قد أستطيع أن أتعايش مع ذلك . لعل الأمر لايتعدى سحابة صيف ، سرعان ماتنقشع . . . غير أني أشعر كيف تستفيق عندي حقائق لاتسمية لها . ماالذي سأصنعه

لها ؟ **(يدور باتجاهها)** . آه ، ياسيزونيا . علمت أن الناس يصيبهم القلق ، لكني لاأفقه ماتعنيه هذه الكلمة . ظننت كما ظن الآخرون ، أنه مرض الروح ، فإذا بي ارى الجسم يتلوى . تؤلمني بشرتي وصدري وأطرافي . أشعر بالغثيان ورأسي يدور . إلا أن الأكثر رعباً ـ هو فقداني لحاسة الذوق ، إذ لاطعم للدم أو للموت أو للحمى لكنها جميعاً تشترك في مذاق واحد . ويكفي فقط أن أحرك لساني ، حتى يسوِّد كلُ ماحولي ويخيّم الظلام . . . إن الناس يثيرون اشمئزازي . آه كم هو صعب ومر أن يصبح المرءُ انساناً !

سيزونيا : أنتَ بحاجة لأن تغفو ، أن تنام طويلاً وأن تسترخي وألا تفكر بشيء . سأجلس معك إلى أن تنام . وعندما تستيقظ سيعود للحياة طعمها السابق وبهجتها . وحاول أن تستخدم سلطتك لكي تحب من لايزال يستحق أن يحب . فقد يجد عندك الحب حظه ، ربما .

كاليجولا : لاشك في أنني أحتاج للنوم والسلوان ، إلا أنني غير قادر على ذلك .

سيزونيا : يتراءى لك ذلك ، لأنك منهك من التعب . وإذا عاد لنا النشاط ، استعدنا قبضتنا على الأشياء .

كاليجولا : والذي يجب أن نعرفه ، هو الكيفية التي سنستخدم فيها هذه الأشياء . ولِمَ أحتاج لمثل هكذا قبضة صلدة ؟ ولِمَ هذا الجبروت الذي لم يسبق له مثيل ؟ إذا لم أستطع تغيير نظام العالم ؟ وأن أجعل الشمس تغرب في الشرق ، وأن تختفي المعاناة وأن يتوقف الناس عن الموت ؟

لاياسيزونيا . الأمر ليس سيان ـ النوم أم اليقظة ـ إذا لم يكن لدي

سلطة على نظام العالم والأشياء .

سيزونيا : أيعني ذلك ، أنك تريد أن تتساوى مع الآلهة . لاأرى جنوناً أرهب من ذلك .

كاليجولا : حتى أنتِ تعتبرينني مجنوناً . نعم ، من هو هذا الاله ، كي أرغب أن أتساوى معه ؟ والذي أسعى إليه الآن ، مستخدماً كامل قواي ، هو أن أترفع عن جميع الآلهة ،إنني أتولى سلطة دولة عظمى ، لامرد فيها لحكم المستحيل .

سيزونيا : لاتستطيع أن تجعل السماء تتوقف على أن تصبح سماءً ، وأن يتحول الوجه الرائع إلى وجه قبيح وأن تقتل العاطفة في قلب الانسان .

كاليجولا : **(بحماس متزايد)** أريد أن أذيب السماء في البحر وأن أصهر الجمال مع القبح ، وأن أخلق من الألم فقاعات من الضحك .

سيزونيا : **(تقف أمامه متضرعة)** . إلا أنَّ هناك خير وشر ، عظمة وخسة ، عدل وفوضى . صدقني أن هذا كله سيبقى دون تغيير .

كاليجولا : **(بحماسة)** . وأرغب أن أبدل كل شيء . سأقدم المساواة لعصري هذا هديةً . وعندما يتساوى الجميع ، سيصل ، في النهاية ، المستحيل إلى الأرض وسيصبح القمر بين يديّ . وعندها تحين فرصة التحول لي وللعالم أجمع معي ، وعندها يتوقف الناس عن الموت وفي نهاية المطاف ، يصبحون سعداء .

سيزونيا : **(صارخة)** . لن تستطيع انكار الحب .

كاليجولا : **(محتدم الغضب)** . الحب ، ياسيزونيا ! **(يمسكها من كتفيها ويهزها)** . لقد أدركت تفاهته . والمهم هو أمر آخر : خزينة الدولة ! أحقاً لم تسمعي ؟ من هنا يبدأ كل شيء . وفي نهاية الأمر سوف أعيش ! أعيش ، ياسيزونيا ، أعيش الحياة والحب ـ

أمران متناقضان . هذا ماأستطيع قوله لك . وادعوك إلى احتفال لانظير له ، إلى محكمة عالمية ، إلى اروع التمثيليات . إلا أني أحتاج ، من أجل ذلك ، إلى بشرٍ ، شهود ، ضحايا ، ومذنبين .

(يهرع إلى الناقوس ويبدأ بقرعه دون توقف ، بما أوتي من قوة) .

كاليجولا : **(وهو يقرع الناقوس)** . ادخلوا المذنبين . احتاج إلى مذنبين ـ الجميع مذنبون **(يواصل القرع على الناقوس)** أريد أن تحضروا المحكومين بالاعدام ، والرعية . أين رعيتي ؟ أين القضاة ؟ أيها الشهود ، أيها المتهمون جميعكم ستُحكمون بالاعدام ! آه ياسيزونيا ، سأريهم شيئاً لم يروه في حياتهم : سأريهم الرجل الحر الوحيد في هذه الامبراطورية !

(على أثر الأصوات العالية الصادرة عن الناقوس ، يعج القصر بأصوات ترتفع وتتقارب . أصوات صرير اسلحة ، خطوات وطقطقة . ينفجر كاليجولا ضاحكاً ويتابع الضرب على الناقوس . يظهر الخفراء يقفون قليلاً ، ثم يختفون) .

كاليجولا : **(مواصلاً القرع على الناقوس)** . وأنت ياسيزونيا ، هل ستمتثلين لي ولاتترددين في مساعدتي . سيكون هذا رائعاً . اقسمي ياسيزونيا أنك ستساعدينني .

سيزونيا : **(كالمجنونة ، تجيب في الوقت المستقطع بين كل ضربتين على الناقوس)** . لماذا يتوجب عليَّ أن أقسم ، مادمت أحبك .

كاليجولا : **(مواصلاً القرع على الناقوس)** . اعملي كل ماأقوله وأطيعي أوامري ! .

سيزونيا : **(تتحدث في الاستراحات بين الضربات)** . كل ماتريده ياكاليجولا . لكن كفى . توقف عن القرع .

كاليجولا : (مواصلاً القرع على الناقوس) ستكونين قاسية !
سيزونيا : (تبكي) . قاسية .
كاليجولا : (مواصلاً القرع ويتحدث باللهجة ذاتها) قاسية وباردة .
سيزونيا : عديمة الرحمة .
كاليجولا : (مواصلاً القرع ويتحدث باللهجة ذاتها) . سوف تتألمين وتعانين .
سيزونيا : حسن ، ياكاليجولا . لكنني سأفقد عقلي !
(يهرع النبلاء مصعوقين ومعهم خدم القصر . كاليجولا يضرب الناقوس آخر ضربة ، يرفع المطرقة ، يتحول إلى الجميع ويصرخ) .
كاليجولا : (خارجاً عن طوره) . فليقترب الجميع . آمركم بالاقتراب (يضرب الأرض بقدميه) . الامبراطور يأمركم بالاقتراب أكثر . (يقترب الجميع وهم بحالة هلع وخوف) . هَلموا . . . أسرعوا ! والآن تقدمي أنت ياسيزونيا .
(يأخذها من يدها ، يقربها من المرآة ويحاول بنشوة ظاهرة طمس صورتها بملامسة سطح المرآة بالمطرقة) .
كاليجولا : (ضاحكاً) . هذا كل شيء . أرأيتِ . ليس هنالك ذكريات بعد ، تبخر الوجه كاملاً . فراغ . أتعلمين من الذي بقي ؟ اقتربي أكثر . انظري . وأنتم اقتربوا . انظروا . (يقف أمام المرآة بوضعية مخبول) .
سيزونيا : (تنظر إلى المرآة بخوف) . كاليجولا !
كاليجولا : (يغير من تعابير وجهه ، يضغط باصبعه على المرآة . يثبت نظرته فجأة ويصدح بلغة المنتصر أمام الجميع قائلاً) : كاليجولا .

تسدل الستارة

الفصل الثاني

المشهد الأول

(يجتمع النبلاء في بيت شيريا)

النبيل الأول : إنه يهين وقارنا .

موسيوس : مرت ثلاث سنين !

النبيل المسن : ينعتني بالإمرأة ! يجعل مني مسخرة ! الموت له !

موسيوس : مرت ثلاث سنين !

النبيل الأول : كل مساء ، يتوجه للنزهة خارج المدينة ، ويجبرنا على العدو خلف هودجه !

النبيل الثاني : ويقول أن العَدْوَ مفيدٌ للصحة .

موسيوس : مرت ثلاث سنين !

النبيل المسن : هذا ليس مقبولاً ، ولاهو بالمسوغ .

النبيل الثالث : أجل ، لايجوز التسامح مع ذلك .

النبيل الأول : الملعون ، صادر جميع ممتلكاتك ياسيبيون ، وقتل أباك يااوكتافيوس ، وخطف زوجتك وأجبرها على العمل في دار البغاء وقتل ابنك ياليبيديوس. ألا تتوحدون الآن ؟ أما أنا فقد اتخذت قراري ولااستطيع التردد في الاختيار بين المجازفة بالحياة وقضاء

العمر في هلع وذل . . .

سيبيون : قرر قتل والدي ، بدلاً من قتلي .

النبيل الأول : أما زلتم مترددين ؟

النبيل الثالث : نحن معك . لقد أعطى الشعب أدوارنا على السيرك ، وأجبرنا على العراك مع الدهماء ، لكي يعاقبنا لاحقاً أشد عقاب .

النبيل المسن : إنه جبان .

النبيل الثاني : وماجن .

النبيل الثالث : ومنافق .

النبيل المسن : إنه عنين .

النبيل الرابع : مرت ثلاث سنين !

(هتافات غير منتظمة . تُسل السيوف . يسقط أحد المشاعل وتنقلب المنضدة . يسرع الجميع إلى الخارج . إلا أن شيريا يدخل في هذه الللحظة بهدوء ، ويباشر بايقاف هذه الهبة) .

المشهد الثاني

شيريا : إلى اين تمضون مسرعين ؟

النبيل الثالث : إلى القصر .

شيريا : أدركت ذلك . أتظنون أنهم سيسمحون لكم بالدخول ؟

النبيل الأول : لن نقدم على طلب السماح .

شيريا : كيف أتتكم الجرأة فجأة ؟ ألا تسمحون لي بالجلوس في بيتي ؟

(يقفل الباب . يتجه شيريا إلى المنضدة ، التي كانوا قد غادروها ويتمجلس على أحد أركانها ويحيط به الآخرون)

شيريا : الأمر ، ليس بهذه البساطة ، كما يتراءى لكم ياأصدقائي . فالجزع الذي تعيشونه الآن ، لايمكن استبداله فجأة بالرجولة وبرودة

الأعصاب . هذا ليس وقته الآن .

النبيل الثالث : فارِقْنا ، إذا كنت لست في صفنا . لكن أمسك لسانك .

شيريا : كلا ، إني لاأزال أظن إنني في صفكم . وإن تباينت الأسباب .

النبيل الثالث : كفى هراء !

شيريا : **(يقف)** . أجل ، كفى هراء . أريد أن يكون كل شيء واضحاً . . فإنني وإن كنت في صفكم ، فهذا لايعني أنني سأنوب عنكم . لهذا السبب أرى أن تكتيكم خاطئاً . فأنتم لم تفهموا عدوكم على حقيقته ، وتنسبون إليه أفكاراً وضيعة . أما الحقيقة ، فتقول أنه لايوجد لديه سوى خطط كبيرة وأنتم تسرعون إلى حتفكم . تعلموا ، بادئ ذي بدء ، أن تروه كما هو . عندها تستطيعون النضال ضده بصورة أفضل .

النبيل الثالث : نحن نراه ، كما هو : أكثر الطغاة عتهاً !

شيريا : لست متأكداً . كان عندنا أباطرة معتوهين . لايكفي نعته بالمعتوه . وأنا أكرهه ، لأنه يعرف مايريد .

النبيل الأول : يريد أن يقتلنا جميعاً .

شيريا : كلا ، ماهذه سوى من مهامه العابرة . أما عظمته فتخدم جزءاً أكبر وهلاكاً أشد . إنه يهددنا في أعز مانملك . أجل ، لم يكن لدينا هو الأول ، من تحلى بسلطة مطلقة ، إلا أنه هو أول من استخدمها بلا حدود ، إلى درجة الانكار التام للانسان والعالم . وهذا الذي يرعبني فيه ، وهذا ماسأناضل ضده . الموت ليس مخيفاً . ورجولتي تكفي لذلك ، عندما تقترب الضرورة ، لكنك لاتحتمل أن تشاهد كيف تفقد الحياة معناها ويفقد الوجود أساسه . لايجوز العيش دون هدف حياتي .

النبيل الأول : الثأر ـ ألا يصلح أن يكون هدفاً حياتياً ؟

شيريا : أجل ، وأريد أن انضم إليكم في هذا . لكن ، يجب عليكم أن

تدركوا ، إنني أنضم إليكم لانطلاقاً من تعاطفي مع صغائركم ، بل لكي أحول دون تنفيذ فكرة عاتية ، التي بانتصارها ، يصل الكون إلى فنائه . قد اتسامح مع الحقيقة التي تقول أنه يسخر منكم ، إلا أنني لاأستطيع أن أسمح لكاليجولا أن يحقق أحلامه . إنه يحول فلسفته إلى نعوش . ومن سوء الطالع ، أن تكون هذه الفلسفة غير قابلة للدحض . وعندما لاتستطيع الافحام ، تلجأ إلى السلاح .

النبيل الثاني : هذا يعني ، أنه يجب مباشرة الفعل .

شيريا : الفعل أمر واجب . لكن ، يجب أن لاتفتحوا معركة مع سلطة لازالت في أوج قوتها . إن الصراع ضد الطاغوت ، ذا المطامع الشريرة أمر ممكن . لكن ، بداية النضال تكون في مساعدته حتى يختمر والانتظار حتى يصل منطقة إلى محال . أقول هذا صادقاً ، وأعيد وأكرر : أدركوا أني سأبقى معكم بعض الوقت . وبعدها سأتوقف عن خدمة أهدافكم ، حيث الذي أنا بأمس الحاجة إليه هو - أن أمتلك سكوناً روحياً في عالم استرجع تآلفه وسادت المحبة فيه من جديد . لاأبحث عن شيء من أجل مآرب شخصية . ويقنعني على الفعل شيء آخر - الخوف ، جزع العقل أمام هذه الأعاصير الانسانية من المشاعر ، التي تحول حياتي إلى هباء .

النبيل الأول : **(يتقدم إلى الأمام)** . أظن أنني أدركت ماتتقوله ، لكن ليس لآخر الخط . إلا أن الشيء الرئيس ، هو أنك كما نحن جميعاً تعتقد بأن أسس مجتمعنا في خطر . والأمر ، بالنسبة لنا ، في الأخلاق قبل أي شيء آخر ، أليس كذلك ؟ تهتز دعائم أُسرنا ، يختفي الاحترام للعمل ، والبلاد قاطبة معرضة للهوان ، وصوت الفضيلة يستنجد بنا . فهل نبقى أصماء لانسمع صوتها ؟

ياأصدقائي ! هل يعقل أنكم ستبقون صابرين ، حينما يساق النبلاء كل مساء لكي يعدو خلف هودج الامبراطور ؟

النبيل المسن : هل تسمحون بأن يدعوهم «عزيزتي» ؟

النبيل الثالث : هل تسمحون بأن يسلبهم نساءهم ؟

النبيل الثاني : وأطفالهم ؟

موسيوس : وأموالهم ؟

النبيل الخامس : كلا .

النبيل الأول : لقد أحسنت القول ، ياشيريا . وصنعت حسناً لأنك هديتنا ، فللفعل لم يحن الوقت بعد : لأن الشعب سيقف ضدنا ، إذا ماقمنا بذلك الآن . هل أنت على استعداد لكي تنتظر معنا اليوم المواتي ؟

شيريا : أجل . لندع كاليجولا يسير بنفسه على هواه . بل الأكثر من ذلك ، يجب علينا أن ندفعه إلى المزيد دفعاً . لنصفق لجنونه هذا . وسيصل اليوم ، الذي سيصبح فيه وحيداً أمام البلاد ، المقطونة بالموتى وأقرباء الموتى .

(بوادر موافقة من الجميع . تُسمع من الخارج أصوات أبواق . يعقبها صمت . وبعدها ، من فاه إلى فاه يتنقل اسم «كاليجولا») .

المشهد الثالث

(يدخل كاليجولا وسيزونيا وهيليكون بمرافقة الجنود . خشبة المسرح خرساء . يتوقف كاليجولا متمعناً وجوه الجميع . يمر من أمامهم وهو صامت . يصلح لأحدهم وضع بكلته ، يتراجع أمام آخر ليتفحصه بصورة أفضل ، ومرة أخرى يتمعنهم جيداً ، يغلق

عينيه بيديه ويخرج دون أن يتفوه بكلمة واحدة) .

المشهد الرابع

سيزونيا : (تشير إلى آثار الفوضى بسخرية) . أكنتم تتشاجرون ؟

شيريا : كنا نتشاجر . . .

سيزونيا : (بذات اللهجة) . من أجل ماذا تشاجرتم ؟

شيريا : تشاجرنا فحسب .

سيزونيا : هذه ليست الحقيقة .

شيريا : ماهي ، إذاً الحقيقة ؟

سيزونيا : إنكم لم تتشاجروا .

شيريا : إذن لم نتشاجر .

سيزونيا : (مبتسمة) . الأفضل أن تقوموا بترتيب المكان . فكاليجولا لايحب الفوضى .

هيليكون : (يوجه حديثه إلى النبيل المسن) . سينتهي الأمر بأن تخرجوه عن طوره .

النبيل المسن : ماذا صنعنا له ؟

هيليكون : في هذا ، أن لاشيء . فعقله لايحتمل أن تكونوا تافهين . وهذا أمر لايحتمله ! ضعوا أنفسكم في مكان كاليجولا **(برهة صمت)** . لعلكم شرعتم بتدبير مؤامرة . أليس الأمر كذلك ؟

النبيل المسن : هذا ليس من الحقيقة بشيء . صدقني . ماذا سيظن بنا ؟

هيليكون : هو لا يظن . إنه يعلم انكم تتآمرون . والواقع أنه في عمق روحه فرحاً ، بعض الشيء ، بذلك . لكن دعونا نتعاون لاعادة النظام . **(الجميع يشاركون في عملية النظافة والترتيب . يدخل كاليجولا ويراقبهم)** .

المشهد الخامس

كاليجولا : **(يوجه حديثه للنبيل المسن)** . مرحباً يا عزيزتي ! **(ويتوجه الى الآخرين)** . قررت أن ارتاح قليلاً عندك ياشيريا . ياموسيوس ، سمحت لنفسي أن استدعي زوجتك . **(يصفق رئيس الديوان . يظهر عبدٌ ، غير أن كاليجولا يستوقفه)** دقيقة ، أيها السادة ! من المعلوم لكم أن ميزانيات دولتنا مستقرة فقط ، لأننا منذ قديم الزمان ، حافظنا على هذه العادة ، إلا أنه ومنذ البارحة ، أصبحت هذه العادة سقيمة . لهذا اصبحت مضطراً لدواعي الضرورة ، أن أقوم بتخفيض اطقم عناصر الخدمة . وانطلاقاً من روح التضحية ، التي دون أدنى مجال للشك تقدرونها جيداً ، قررت تخفيض مصاريف البلاط وتحرير عدد من العبيد واستبدالهم ببعض منكم . هيا ، باشروا بترتيب طاولات الطعام ووزعوا عليها الأطعمة .

(يسيطر الذهول على النبلاء) .

هيليكون : هيا ياسادة . اظهروا بعض القدرة على روح التطوع . إن الهبوط على السلم الاجتماعي أسهل من الصعود عليه . وهذا ماتعرفونه جيداً .

(يبرح النبلاء أماكنهم بتردد) .

كاليجولا : **(يوجه حديثه إلى سيزونيا)** كيف يعاقب العبيد المتذمرين ؟

سيزونيا : أظن ، جلداً بالسوط .

(يندفع النبلاء بصبر ويباشرون ترتيب الطاولات ، وتبدو خبرتهم ضحلة في ذلك) .

كاليجولا : اجتهدوا ، اجتهدوا ! فالأمر المهم في كل عمل - هو النظام ! **(يوجه حديثه إلى هيليكون)** . كانهم فقدوا الحذاقة ، على

ماأظن .

هيليكون : وإذا نطقنا بالحقيقة ، أية حذاقة كانوا يملكون ؟ أيتساوى التلويح بالسيف مع اصدار الأوامر . يحب التحلي بالصبر فحسب . يمكننا أن نصنع من الإنسان نبيلاً خلال يوم واحد ، أما لصناعة عامل فنحتاج إلى عشر سنين .

كاليجولا : ولكي نصنع عاملاً من نبيل ، أخشى أن نحتاج إلى أكثر من عشرين سنة .

هيليكون : على أية حال ، أرى أنهم يجيدون القيام ببعض الأمور . وأعتقد أن لديهم استعداد لمثل هكذا عمل ! وكأني بهم خُلقوا للعبودية فقط .

(يمسح أحد النبلاء وجهه)

انظر ، لدرجة أن العرق أخذ يتصبب منهم . وهذا يعني شيئاً ما .

كاليجولا : رائع . لاحاجة لطلب الكثير ، قد يكون ذلك أسوأ . إن العودة إلى العدل أحياناً ولو لبعض الوقت ، هو أمر ممتع . وبما أننا تطرقنا للعدل ، يجب علينا أن نسرع : هنالك في برنامج عملي لهذا اليوم ، عملية اعدام . لكن الجوع ينهشني ، وهذا من حسن طالع روفيوس . روفيوس ، ذاك الحدائقي ، الذي يجب أن يعدم . **(برهة صمت)** . لاتستفسروا مني عن الذنب الذي اقترفه لكي يعدم ؟

(يخيم الصمت على الجميع ، خلال ذلك ، يُحضر العبيد ألواناً مختلفة من الأطعمة) .

كاليجولا : **(تبدو دلائل طيبة على وجهه)** . أرى أنكم أصبحتم الآن أكثر ذكاءً . **(يمضغ حبة زيتون)** . وأخيراً أدركتم أنه ليس من الضروري أن يرتكب إثماً حتى يحكم على شخص ما بالاعدام .

ايها الجنود ، إنني راضٍ عنكم . حقاً ياهيليكون ؟ **(يتوقف عن المضغ وينظر إلى مؤاكليه بتهكم)** .

هيليكون : أجل ! وأي جنود ! لكن ، إذا اردت أن تسمع رأيي : إنهم أصبحوا أكثر ذكاءً ولايريدون القتال . فإذا أقدموا على تحقيق نجاحات كبرى أخرى ، فالامبراطورية سوف تنهار !

كاليجولا : رائع . والآن لنرتاح . تمجلسوا كما تريدون ، ولننسى قواعد الاتيكيت . إن روفيوس سعيد الحظ ، وأظن أنه لايقدر هذه المماطلة حق قدرها . وأي أمر أعظم وأثمن من اختلاسك بضع ساعات من الموت ؟

(يباشر كاليجولا والآخرون الطعام . ويبدو واضحاً أنه لايراعي آداب الطعام . يقوم برمي أنوية الزيتونات في أطباق أطعمة من يجلس بجواره ، وقطعاً من اللحم ، غير ناضجة على المنضدة ، وفي نفس الوقت ، يقوم بتنظيف أسنانه بأظافره ويهرش رأسه بطريقة فاقعة الفجاجة . وكان يقوم بجميع تصرفاته هذه دون ارتباك أو تكلف . فجأة يتوقف عن الطعام ويسدد نظرة متمعنة إلى أحد مؤاكليه . هو ليبيدوس ويوجه الحديث إليه) .

كاليجولا : **(بوقاحة)** . يبدو أنك مضطرب . هل سبب اضطرابك هو العمل الذي اقدمت عليه ، حينما قتلت ابنك ياليبيدوس ؟

ليبيدوس : **(يتكلم وكأن هنالك كتلة في حلقة)** . فيما تفكر ياكايوس ؟ على العكس تماماً .

كاليجولا : **(باستهزاء)** . على العكس ! آخ ، كم يعجبني حينما لاتشير تعابير الوجه عن مايختلج في الصدر . وجهك حزين ، وماذا عن القلب ؟ إنه على العكس تماماً . ياليبيدوس ، أليس الأمر كذلك ؟

ليبيدوس : **(باصرار)** . على العكس ، أيها القيصر .

كاليجولا : **(أكثر غبطة)** . أخ ، لاأحب أحداً أكثر منك ياليبيدوس . تعال ، لنضحك معاً . هلم ، قص عليَّ قصة مرحة .

ليبيدوس : **(مستجمعاً قواه)** . كايوس !

كاليجولا : حسن ، سأقص أنا . لكنك ستضحك ، أليس كذلك ياليبيدوس ؟ **(نظرة حاقدة)** . على الأقل من أجل ابنك الثاني . **(يضحك من جديد)** . ثم أنك غير مقتضب الوجه **(يلعق جرعة من الخمر)** بل على العكس ، انطق ياليبيدوس !

ليبيدوس : **(علائم تعب تبدو على وجهه)** . على العكس ، ياكايوس .

كاليجولا : ممتاز . **(يشرب من جديد)** . والآن اصغي إليَّ **(حالماً)** في يوم من الأيام ، كان هنالك امبراطور فقير ، لم يحبه أحد . أما هو ، فكان يحب ليبيدوس وأمر بقتل ابنه الأصغر ، لينتزع الحب من قلبه . **(يغير لهجته)** . أجل ، هذه ليست الحقيقة أليس هذا مضحكاً ؟ لماذا لاتضحك ؟ لماذا لا أحد يضحك ؟ إذن اسمعوا **(بحقد واضح)** . أريد أن يضحك الجميع . أنت ياليبيدوس والآخرون جميعاً ، قفوا واضحكوا . **(يدق بقبضته على الطاولة)** . اتسمعون ! أريد أن أرى كيف تضحكون . **(يقف الجميع . يتحرك جميع الممثلين ماعدا كاليجولا وسيزونيا حركات عرائس دمى المسرح)** .

كاليجولا : **(من شدة الضحك الذي استولى عليه ، يرمي نفسه فجأة على الأريكة)** . لا ، انظري أنت إليهم ياسيزونيا . لم يبق أي شيء . لا الشرف ولا الوقار ولا الاسم الطيب ولا الحكمة الأزلية ، ولم تعد هذه الخصال تعني أي شيء . جميعها تختفي أمام الجزع . نعم الجزع ياسيزونيا ، إنه احساس عال لاتعتريه أية شوائب ، إنه نقي وخالٍ من الطمع . إنه أحد أهم المشاعر الفاضلة التي لم

تمس . **(يمسح جبينه بيده ويقول بمودة)** والآن لنتحدث عن أمر آخر . ياشيريا ؛ مادهاك ، لماذا أنت صامت ؟

شيريا : سأتحدث ياكايوس ، حالما تأذن لي بذلك .

كاليجولا : رائع . فلتخرس إذن . أرغب الاستماع لصديقنا موسيوس .

موسيوس : **(بصعوبة)** . أنا رهن اشارتك ، ياكايوس .

كاليجولا : حدثنا عن زوجتك . وقبل أن تباشر بذلك ، دعها تجلس هنا ، إلى اليسار مني . . .

(تقف زوجة موسيوس وتدنو من كاليجولا)

موسيوس : **(باضطراب)** : عن زوجتي ؟ إنني أحبها . **(يضحك الجميع)** .

كاليجولا : هذا مفهوم ، مفهوم ، أيها الصديق . لكن كيف حدث ذلك ؟ **(أصبحت زوجة موسيوس إلى جانبه . يقوم بلثم كتفها الأيمن دون تكلف وذهنه مشتت)** .
أكنتم تتآمرون عليَّ ، حينما دخلت ؟ نعم ! على الأغلب ، أكنتم تحيكون مؤامرة ؟ أليس كذلك ؟

النبيل المسن : حاشا ياكايوس ، كيف تستطيع أن تظن بنا ؟

كاليجولا : كلام فارغ ، يافاتنتي ! يجب أن تعود الشيخوخة إلى رشدها . نعم ، هذا جميعه هراء . إنكم عاجزون عن القيام بأي عمل رجولي . نعم ، تذكرت فجأة أن هناك بعض من أعمال الدولة ، يتوجب عليَّ القيام بها . لكن قبل ذلك ، يجب أن نلبي بعض الحاجات الغريزية ، التي أهدتها لنا الطبيعة .
(يقف وتقف زوجة موسيوس ، ويتوجهان إلى غرفة مجاورة)

المشهد السادس

(يحاول موسيوس الوقوف)

سيزونيا : **(تبدو علامات طيبة على وجهها)** . أريد أن أشرب قليلاً من هذا النبيذ الفاخر ، ياموسيوس .

(يقوم موسيوس بسكب كأس من النبيذ لسيزونيا . يظهر على الجميع الحرج . تقرقع الكراسي . ويدور مالحق من حديث بجهد النفس) .

سيزونيا : ماذا ياشيريا ؟ أبوسعك أن تحدثنا عن السبب ، الذي دعاكم للشجار هنا ؟

شيريا : **(ببرودة)** . ياعزيزتي سيزونيا ! كان الجدل يدور حول ماإذا كان الشعر يستحق أن يكون سبباً للموت أم لا .

سيزونيا : ما أمتع هذا ؟ أجل ، إنه فوق مقدراتي على الادراك كإمرأة ! إلا أن مايدهشني ، هو أنكم تستطيعون الشجار أحدكم مع الآخر دفاعاً عن الفن .

شيريا : (بدهاء) . بلا ريب . حدثني كاليجولا مرة قائلاً : في أي نفاح ، يجب أن يكون هنالك شيء من القسوة .

هيليكون : وفي الحب ـ بعض من الاكراه .

سيزونيا : **(تمضغ طعاماً)** . هذا رأي فيه من الصواب . مارأي الآخرين ؟

النبيل المسن : إن كاليجولا ـ عالم نفس كبير .

النبيل الأول : إنه رائع الحديث ، حينما يكون عن الشجاعة والبسالة .

النبيل الثاني : ويجدر به أن يجمع كل افكاره ويسجلها ، حيث ستكون كتاباً منقطع النظير .

شيريا : غير متحدثين ، أن هذا الأمر يمتعه . فهو بحاجة إلى التسالي .

سيزونيا : **(تتابع تناول الطعام)** . ستفرحون حينما تعلموا أنه فكر بهذا الأمر . حيث يقوم في هذه اللحظة ، بكتابة بحث كبير .

المشهد السابع

(يدخل كاليجولا وزوجة موسيوس) .

كاليجولا : هاأنذا أعيد إليك زوجتك ياموسيوس . من جديد ، هي لك . استميحكم عذراً ، لأن هنالك بعض الأوامر تنتظر الاصدار من قبلي . **(يخرج مهرولاً) .**

المشهد الثامن

سيزونيا : (توجه حديثها إلى موسيوس ، الذي ظل واقفاً شاحب الوجه) . نحن لانشك ، ياموسيوس ، أن هذا البحث سوف يعلو شأواً أكثر الابداعات شهرة .

موسيوس : (ناظراً باتجاه الباب ، الذي اختفى منه كاليجولا) . عن ماذا يجري الحديث في البحث ياسيزونيا ؟

سيزنيا : (بلا مبالاة) . إنه عن أمر لاأستوعبه .

شيريا : يجري الحديث باختصار ، عن القوة القاتلة للشعر .

سيزونيا : أظن الأمر كذلك .

النبيل المسن : (بفرح) . أجل ! مثل هذا الأمر ، قد يشغله . إن شيرياعلى حق .

سيزونيا : أجل يافاتنتي . لكن أخشى أن يدهشكم عنوان البحث .

شيريا : وماهو ؟

سيزونيا : «السيف» .

المشهد التاسع

(يدخل كاليجولا مندفعاً) .

كاليجولا : استميحكم عذراً ، فأمور الدولة لاتحتمل التأجيل . يارئيس الديوان ! أصدر أمراً يقضي بإغلاق صوامع الحبوب فوراً . للتو وقعت مرسوماً بهذا الخصوص ، تجده في غرفة نومي .

رئيس ديوان الامبراطور : ولكن . . . .

كاليجولا : منذ الغد ، ستبدأ المجاعة .

رئيس ديوان الامبراطور : لكن الشعب سيتذمر .

كاليجولا : **(بحدة وجلاء)** . قلت : منذ الغد ستبدأ المجاعة . والجميع يعرف معنى المجاعة : إنها كارثة وطنية . وستبدأ هذه الكارثة الوطنية غداً . . . وسأقوم بإيقافها ، متى أرى ذلك مناسباً . **(يوجه كلامه إلى الحضور شارحاً)** . أخيراً ، لم يبق عندي أساليب كثيرة للبرهان على أني حر . لقد جرت العادة أن يصبح الناس أحراراً ، على حساب حريات الآخرين . هذا أمر مهين ، إلا أنه من طبيعة الأشياء . **(يوجه نظره إلى موسيوس)** . خذوا على سبيل المثال ، الغيرة . عندها ستتأكدون أنني على حق ، **(حالماً)** على الرغم من أن الغيرة ـ هي من الأمور القبيحة ! إنها معاناة من أجل النرجسية وزيادة في أوهام المشاعر ! تصور نفسك في مكان امرأتك . . . **(يضغط موسيوس إحدى قبضتيه بالأخرى ويفتح فاه ، كأنه يريد أن يقول شيئاً) .**

كاليجولا : **(مبادراً)** . لنتناول الطعام أيها السادة . هيا إلى المائدة . هل تجهلون أني وهيليكون نداوم على العمل دون فتور . إننا نقوم بإنهاء بحث صغير عن «الموت اعداماً» . وسوف تدلون بدلوكم فيه .

هيليكون : حتى لو كانت آراؤكم مخالفة .

كاليجولا : سوف نكون رحماء ، ياهيليكون ! سوف نبوح إليهم بأسرارنا الصغيرة . وهكذا ، الفقرة الأولى من الفصل الثالث . هيا ياهيليكون ، اقرأ :

هيليكون : (**يقف وينشد بصورة آلية**) . «يجلب الموت اعداماً الفرج والانعتاق . هو تدبير شامل منشط وعادل ، إن كان في تنفيذه أم في أهدافه . يموت الناس لأنهم مذنبون . والناس مذنبون لأنهم من رعايا كاليجولا . والجميع هم أتباع كاليجولا . إذن ، الجميع مذنبون . وهذا يعني أن الجميع سيموتون . وماهذا إلا مسألة وقت وصبر» .

كاليجولا : (**ضاحكاً**) ماالذي تقولونه فيما سمعتم ؟ الصبر ، إنها لقية باهظة الثمن ! وإذا اردتم الحقيقة : إنها أكثر مايعجبني فيكم . والآن ، ايها السادة ، يمكنكم الانصراف . لايريد شيريا أن يعتقكم أكثر من ذلك . لكن ليبقى سيزونيا وليبيدوس وأوكتافيوس وميريا أيضاً . أريد أن أبحث معهم ، كيف تسير الأمور في دار البغاء ، التي دشنتها . لأن هذه الأمور تثير كثير امتعاضي .

(**يغادر البقية وهم يسيرون الهوينى . يودع كاليجولا موسيوس بنظره**) .

المشهد العاشر

شيريا : نحن تحت امرتك ، ياكايوس ! ماالذي يسير على ما لا يُرام هناك ؟ هل الأطقم لاتعمل حسناً ؟

كاليجولا : نعم ، لا ، لكن الايرادات قليلة .

ميريا : يجب رفع التسعيرة .

كاليجولا : أرى أنك نسيت حالة الصمت ، ياميريا . من هم في مثل عمرك ، لايجوز لهم الاقدام على مثل هذه التصرفات . وأنا لم أطلب ذلك .

ميريا : لكن ، لماذا طلبت مني البقاء ؟

كاليجولا : لأنه سرعان مااحتاج إلى نصيحة غير متميزة .

شيريا : إذا سمحت لي بالحديث ياكايوس ، أريد أن أقدم نصيحة غير متميزة أقول فيها : لاحاجة أو أهمية لرفع التسعيرة .

كاليجولا : أجل ، غير أننا نحتاج لاصلاح أمورنا المالية . كنت قد شرحت خطتي لسيزونيا ، وهاهي بدورها ستعرضها عليكم . أما أنا فقد تناولت كثيراً من المشروبات وأرى أنني أميل إلى النوم . (**يضطجع ويغلق عينيه**) .

سيزونيا : الأمر شديد البساطة . أنشأ كاليجولا وساماً جديداً .

شيريا : لاأرى أية صلة بين هذا وذاك .

سيزونيا : ومع ذلك ، هنالك صلة قوية . سوف يسمى هذا الوسام ، وسامَ «البطولة الأهلية» . سيناله المواطنون الأكثر مداومة على ارتياد دار البغاء .

شيريا : فكرة رائعة .

سيزونيا : وأنا أظن ذلك أيضاً . نسيت أن أعلمكم بأنه سيجري تقليد الوسام شهرياً ، بعد كل عملية من عمليات جرد بطاقات الدخول . والمواطن الذي لن ينال هذا الوسام خلال اثني عشر شهراً ، سوف يحكم بالنفي أو الاعدام .

ليبيدوس : ماذا ؟ «الاعدام» ؟

سيزونيا : لأن كاليجولا يظن ، أن الأمر سيان . والأهم من ذلك أنه يمكنه الاختيار .

شيريا : برافو . نعم المشروع . والآن سوف تغنى الخزينة .

هيليكون : والأهم - أن ينفذ بأسلوب رفيع الأخلاقية . في نهاية المطاف ، الأفضل أن تجبى الضرائب من النبي ، لاأن تدفع من أجل الفضيلة . هكذا تسير الأمور في الدول ذات الحكم الجمهوري .

(يفتح كاليجولا عينية بالتدريج وينظر إلى ميريا المسن ، الذي كان يقف جانباً حاملاً زجاجة آخذاً منها جرعة) .

كاليجولا : **(لايزال مضطجعاً)** . ماذا تشرب ياميريا ؟

ميريا : إنه دواء للربو ياكايوس . . .

كاليجولا : (يدنو منه دافعاً الآخرين ويشم رائحة الزجاجة) . كلا ، إنه الترياق .

ميريا : ماذا ياكايوس ؟ هل تمزح ؟ يصعب تنفسي ليلاً لدرجة أنني أكاد أختنق . ومنذ زمن طويل وأنا أتداوى .

كاليجولا : إذن ، أنت تخشى أن يدس لك السم ؟

ميريا : إنه الربو . . .

كاليجولا : كلا . يجب أن نسمي الأشياء بأسمائها . تخشي أن يدس لك السم . إنك تثير ارتيابي . أنت تراقبني .

ميريا : كلا ، كلا . أقسم لك بجميع الآلهة !

كاليجولا : أنت لاتثق بي . ومهما يكن من أمر ، فإنك تخشى على نفسك مني .

ميريا : كايوس !

كاليجولا : **(بخشونة)** . أجب ! **(هيئة من يحاول البرهنة رياضياً)** بما أنك تتناول ترياقاً ، فإنك تظن بأنني أعقد النية على دس السم لك .

ميريا : نعم . . . أي . . . أن . . . كلا .

كاليجولا : وكأنك افترضت ، إنني اتخذت قراراً بدس السم لك ، وهاأنت

تصنع المستحيل لكي تقاوم اراداتي .

(يخيم الصمت . غاص كل من سيزونيا وشيريا في عمق خشبة المسرح منذ بداية الحديث السابق . وليبيدوس وحيداً يستمع إليه وهو بحالة اضطراب) .

كاليجولا : **(يحاكم الأمور بتسلسل أكثر منطقية)** . إذن لدينا جريمتان وخيار وحيد لاتستطيع التهرب منه : إما إنني لم أكن أريد قتلك وأنت تشك بي ظلماً وعدواناً وأنا الامبراطور . أو أنني عزمت على قتلك وأنت ، أنت الحشرة الوضيعة ، تريد التصدي لارادتي .

(برهة صمت . يتأمل خلالها كاليجولا الرجل المسن وهو منشرح الصدر) .

ماذا تقول ياميريا ، بخصوص هذا المنطق ؟

ميريا : إنه . . . . إنه لاغبار عليه ياكايوس . غير أنه لاينطبق على حالتي .

كاليجولا : والجريمة الثالثة - هي أنك تعتبرني معتوهاً . والآن اصغ إليَّ . من بين هذه الجرائم الثلاث ، الأولى والثانية تجعلانك شريفاً . لأنك سرعان ماافترضت أنني اتخذت قراراً ما وقمت بالوقوف في وجه تنفيذه . وهذا يعني أنك متمرد . أنت زعيم انتفاضة . أي ، أنك ثوري . هذا شيء رائع . **(بكآبة)** . أحبك جداً ياميريا . لهذا سوف تحاكم على جريمتك الثانية ، لا على الجرائم الأخرى . سوف تموت كالرجل العاصي .

(أثناء هذا الحديث ، أخذ ميريا يغوص بالتدريج في مقعده) .

كاليجولا : **(فاقداً صبره)** . هيا ، هيا بسرعة .

(يحاول ميريا الهرب . يقوم كاليجولا بقفزة وحشية إلى منتصف خشبة المسرح ، يجر ميريا ويرميه على مقعد وطيء ، وبعد عدة دقائق من المقاومة العنيفة يتمكن من أن يفرغ

محتويات الزجاجة في فمه عبر أسنانه ويحطمها بعد ذلك بقبضته . يموت ميريا بعد تشنجات قليلة وجسمه مغطى بالدم والدموع . يقف كاليجولا ويمسح يديه بصورة آلية) .

كاليجولا : **(يقدم إلى سيزونيا شظايا الزجاجة التي كان يحملها ميريا)** ماهذا ؟ أليس ترياقاً ؟

سيزونيا : **(بهدوء)** . لا ياكاليجولا . بل هو دواء لعلاج الربو .

كاليجولا : **(ينظر إلى ميريا بصمت)** . سيان . ماالفرق ؟ سيأتيه الموت إن عاجلاً أم آجلاً . . .

(يخرج بغتة ــ هيأته متعبة ، غير متوقف عن فرك يديه) .

المشهد الحادي عشر

ليبيدوس : **(كالواهن والمحطم نفسياً)** مايجب عمله الآن ؟

سيزونيا : **(في بساطة)** . أظن ، أنه يجب ابعاد الجثة قبل أي شيء آخر ، لأنها أوشكت أن تصبح جيفة .

(شيريا وليبيدوس يرفعان الجثة ويحملانها إلى خارج خشبة المسرح) .

ليبيدوس : **(موجهاً حديثه إلى شيريا)** . يجب الاسراع . يجب الاسراع .

شيريا : يجب أولاً أن نحاول تجميع حوالي مئتي رجل .

(يدخل سيبيون . لكنه عندما يلمح سيزونيا ، يتراجع متوجهاً إلى الخارج) .

المشهد الثاني عشر

سيزونيا : تعال إلى هنا !

سيبيون : ماذا تريدين ؟

سيزونيا : اقترب . **(تمسكه من لحيته وتنظر إلى عينيه . برهة صمت . وتقول ببرودة)** . أَقَتَلَ أباك ؟

سيبيون : أجل !

سيزونيا : أتحقد عليه ؟

سيبيون : أجل !

سيزونيا : هل تريد قتله ؟

سيبيون : أجل !

سيزونيا : **(تعتقه)** . ولماذا تفصح لي عن هذا الأمر ؟ . . . .

سيبيون : لأنني لاأخشى أحداً . أقتله أم أُقتل أنا - إنها طرق مختلفة للخلاص . هل ستغدرين بي ياسيزونيا .

سيزونيا : أنت على حق . لن أغدر بك . لكنني أريد أن أقل لك شيئاً ما - والأصح ، أنني أرغب بمناشدة أفضل شيء فيك .

سيبيون : أفضل مافي نفسي - الكراهية .

سيزونيا : ومع ذلك اصغ إليَّ . ماأريد أن أحدثك به واضح ، إلا أنه في الوقت نفسه ، مستحيل التحقيق . فإذا أدركت ماسأقوله لك ، ستصبح قادراً على تحقيق الثورة وقلب هذا العالم رأساً على عقب .

سيبيون : انطقي بما تريدين .

سيزونيا : ليس الآن . وقبل ذلك ، فكِّر في الألم الذي كسى وجه أبيك ، بعدما قطع لسانه . فكر في فمه الذي كان مليئاً دماً وفي تلك الصرخة ، التي أطلقها آنذاك . كانت شبيهة بصرخة حيوان يتعذب .

سيبيون : أجل . . .

سيزونيا : والآن ، فكِّر في كاليجولا .

سيبيون : **(بصوت مليء بالحقد وبالكراهية)** . أجل . . .

سيزونيا : والآن ، استمع جيداً : حاول أن تفهمه . **(تخرج تاركة سيبيون بحالة فقدان توازن)** .

(يدخل هيليكون) .

المشهد الثالث عشر

هيليكون : إن كاليجولا قادم إلى هنا . ألا تريد تناول طعام الغداء أيها الشاعر ؟

سيبيون : ساعدني ياهيليكون !

هيليكون : هذا أمر شديد الخطورة ياعزيزي . ثم أن ذوقي عصيٌ جداً في استمراء الشعر .

سيبيون : بل ، وفي وسعك مساعدتي . إنك تعرف الكثير .

هيليكون : الذي اعلمه ، هو أن الأيام تمر وأنه يجب الاسراع بمباشرة الطعام . وأعلم أيضاً ، أنك قد تحاول قتل كاليجولا . . . وأن كاليجولا هذا . . . **(يدخل كاليجولا ويخرج هيليكون)** .

المشهد الرابع عشر

كاليجولا : هاأنت هنا . **(في حالة ضياع ، لايعرف كيف يتماسك)** مر وقت طويل عليَّ لم ارك فيه . **(يدنو منه ببطء)** . ماذا تعمل ؟ ألم تنفك عن الكتابة ؟ هل لك أن تطلعني على آخر أعمالك ؟

سيبيون : **(في حالة ضياع ، تتنازعه مشاعر الكراهية وغيرها من المشاعر ، التي لايعرف دوافعها)** .

كتبت بعض القصائد ، أيها القيصر .

كاليجولا : ماهو موضوعها ؟

سيبيون : لأأدري ، أيها القيصر . اظنها عن الطبيعة .

كاليجولا : (**بحرية أكثر**) . فن رائع رحب . ماذا أوحت إليك به الطبيعة ؟

سيبيون : (**يستجمع قواه ويقول بتهكم وحقد**) . إنها تثير سلواي ،لأنني لست قيصراً .

كاليجولا : ها ! كيف ترى ، أتستطيع أن تثير سلواي أنا أيضاً كوني قيصراً ؟

سيبيون : (**بنفس اللهجة السابقة**) . إنها تشفي من أكثر الجراح عمقاً .

كاليجولا : (**في اندهاش**) . جراح ؟ قد نطقت بهذا حاقداً . أفعلت ذلك ، كوني قتلت أبيك ؟ لكنك ، لو تعلم مقدار وقع هذه الكلمة . جراح ! (**يغير لهجته**) . إن الكراهية فقط ، هي التي تجعل الناس أكثر ذكاءً .

سيبيون : (**بصوت عدائي وبارد**) . إنما أجبت على سؤالك عن الطبيعة .

(يجلس كاليجولا ، يتمعن سيبيون ، بعد ذلك يمسكه من يديه فجأة ويجذبه إليه ويجلسه عند قدميه ويضغط وجهه بين راحتيه) .

كاليجولا : أنشدني اشعارك .

سيبيون : لا ، أيها القيصر . أتوسل إليك .

كاليجولا : لماذا ؟

سيبيون : إنها غير موجودة معي الآن ؟

كاليجولا : ألا تحفظها عن ظهر قلب ؟

سيبيون : كلا .

كاليجولا : حدثني ، على الأقل ، عما تتحدث .

سيبيون : (**مضطرباً أيضاً وبمظهر الذي لايرغب**) . قلت فيها . . .

كاليجولا : نعم ؟

سيبيون : كلا ، لاأذكر .

كاليجولا : حاول . . .

سيبيون : أتحدث عن التوافق السري بين الأرض . . . .

كاليجولا : (يقاطعه وهو غارق في افكاره) . . . بين الأرض والمراحل . . .

سيبيون : **(مرتبكاً ومتردداً)** . أجل ، إنها كذلك . . .

كاليجولا : تابع .

سيبيون : . . . وعن معالم المعابد الرومانية ، وعن الهدوء المنعش ، الذي يحمله لنا المساء . . . .

كاليجولا : . . . عن هديل الحمام في سماء خضراء .

سيبيون : **(بطلاقة)** . أجل ، وعن هذا .

كاليجولا : تابع .

سيبيون : وعن اللحظة الواهية ، عندما تكون السماء لاتزال ترتدي حلة من الذهب ، وفجأة تعرض علينا وجهها الآخر المعاكس ، الذي تتناثر فيه نجوم لامعة .

كاليجولا : عن رائحة الدخان ، والغابات والأنهر ، عندما تسير الأرض الهوينا لاستقبال الليل . . .

سيبيون : **(بنشوة روحية)** . . .

تصفر الزيزان .

وينقشع حر النهار .

وصرير العربات المتأخرة .

وأصوات الفلاحين . . .

كاليجولا : . . وطرق مغطاة بظلال أشجار التين والزيتون . . .

سيبيون : أجل ، أجل ، هذا صحيح ! لكن ، كيف حزرت ذلك ؟

كاليجولا : **(شاداً سيبيون إلى جسمه)** . لاأدري . ربما لأن دروبنا واحدة وتتجه إلى ذات الحقيقة .

سيبيون : **(يسند رأسه على رأس كاليجولا ، متأثراً بهذا الكلام)** آخ ، أليس

بالامكان أن أرى ماحولي كله يعج بالحب !

كاليجولا : **(يتمعنه في رأسه)**. هذه من خصال كل قلب عظيم ياسيبيون ! آه ، لو كان بمقدوري أن أتعرف إلى أرواح صافية طاهرة ! إلا أنني متيقنٌ كم هو عطشي للحياة شديداً ، إلى تلك الدرجة ، التي لايمكن فيها اطفائه . أنت لاتستطيع أن تدرك ذلك . أنت من عالم آخر . إنك تنتمي إلى الحيز النقي ، أما أنا فأنتمي إلى الشر الصافي .

سيبيون : أستطيع أن أدرك ذلك .

كاليجولا : كلا . يجري في داخلي نهر صامت وتنفر منه ينابيع آسنة . . . **(يغير نبرة صوته فجأة)** . أظن أن أشعارك رائعة . لكن إذا رغبت بمعرفة رأيي . . .

سيبيون : **(على ذات الهيئة السابقة)** . أجل .

كاليجولا : كل هذا يعاني من شح الدماء !

(ينتفض سيبيون إلى الخلف . وينظر إلى كاليجولا برعب . يتحدث بصوت منخفض متابعاً ابتعاده عن كاليجولا ويتمعنه باضطراب) .

سيبيون : ياللوحش . ياللوحش الفظيع ! لقد حطمت هذه الكوميديا من جديد . الآن حطمت الكوميديا ، أليس كذلك ؟ وأنت على أشد الرضى عن نفسك ؟

كاليجولا : **(لابأس)** . إن ماقلته بخصوص تحطيمي للكوميديا ، هو الحقيقة بعينها . أنا حطمت الكوميديا ، أجل ياسيبيون !

سيبيون : **(بنفس اللهجة)** . ماهذا القلب العدواني الدموي الذي تحمله بين حناياك . إن الشر والكراهية ، هما مايجري في دمك فقط !

كاليجولا : **(بلطف)** . كفى . صه . . .

سيبيون : إنني أشفق على حالك ، أكرهك كثيراً ياكايوس !

كاليجولا : **(بغضب)** . اخرس .

سيبيون : إنك تعيش في وحدة موحشة !

كاليجولا : **(يندفع رامياً جسمه إليه ويمسكه من تلابيبه ويهزه هزاً عنيفاً)** . الوحشة ! هل جربتها ؟ أية وحشة ؟ أنت لاتفرق بين الوحدة والوحشة أبداً ! إننا نحمل دائماً معنا جميع أوزار الحاضر والماضي ! أولئك الذين قتلناهم . وهذا ليس أفظع الأمور . ونحمل معنا أيضاً مَنْ أحببنا ومن كرهنا ، من أحبّنا وأمنياتنا ومراراتنا ، لطفنا وكل ماارتكبته الآلهة من آثام . **(يتركه ويعود إلى مكانه)** . كن وحيداً ! إن لدي قدرة كافية على تحمل الوحدانية ، لاعلى أنها كراهية وجود الآخرين ، بل تلك الوحدانية الحقيقية ، عندما يسير الهدوء مراقصاً الأشجار ! **(يجلس فجأة منهكاً)** . لاياسيبيون ! الوحشة تخترق كل شيء ، صرير الأسنان ، كل مايرن بأصوات وحناجر خافتة ، حتى النسوة الملعونات ، اللواتي ألاطفهن عندما يخيم الظلام وأسلبهن الشهوات . إن وحدتي ياسيبيون تطفو حتى حوافها بروائح حادة من المتع في أحضان النساء الحالمات .

(كأنه يزفر . برهة طويلة من الصمت) .

(ينحرف سيبيون خلف كاليجولا ويدنو منه . يمد يده إلى كتفه ويتكأ عليه ، أما كاليجولا فيمسك بيده دون أن يستدير) .

سيبيون : لكل انسان سلواه في هذه الحياة . وهذه السلوى بالذات هي التي تجبرك على أن لاترمي كل شيء . والناس عندما تخور قواهم يبحثون عنها كي تمد لهم يد العون .

كاليجولا : إنها الحقيقة بعينها ، ياسيبيون .

سيبيون : ألم تتعرف في حياتك على شيء من هذا ؟ دموع مدرارة وملجأ هادئ .

كاليجولا : بلى . . .

سيبيون : ماهو ؟

كاليجولا : (**في تؤدة**) الازدراء . .

تسدل الستارة . . .

الفصل الثالث

المشهد الأول

(قبل رفع الستارة ، يُسمع قرع طبول وقرقعة صنوج . ترفع الستارة لنجد أنفسنا أمام سرادق وكأننا في السوق . في الوسط الستارة مغلقة ويقف أمامها هيليكون وسيزونيا على منصة صغيرة . وعلى جانبيهما يقف موسيقيون يحملون الصنوج . أما النبلاء ومعهم سيبيون فيجلسون على مقاعد طويلة وظهرهم إلى الجمهور)

هيليكون : **(يدعو كمن يجلس في السوق)** : اقتربوا ! اقتربوا ! **(رنين صنوج)** .

لقد هبطت الآلهة من جديد على الأرض . كايوس هو القيصر والإله ، المشهور باسم كاليجولا . . . اقتربوا ، شاهدوا بأم أعينكم حفلات موت وأعاجيب مقدسة ، لحظوة صاحب الجلالة كاليجولا ، وأسراراً ربانية ، يماط اللثام عنها لكل منكم على حدة وللجميع في آن . **(رنين صنوج)** .

سيزونيا : اقتربوا ياسادة ! قدموا آيات الخشوع وادفعوا ماتقدرون عليه . اليوم ستشاهدون مسرحية ربانية .

هيليكون : الأولمب وحياته السرية ، دسائسه ودموعه وقاطنيه في كل بيت .
اقتربوا ! اقتربوا ! جميع الحقائق عن آلهتكم ! **(رنين صنوج)**

سيزونيا : قدموا آيات الخشوع وادفعوا نقوداً . اقتربوا ياسادة ! سيبدأ العرض .
(رنين صنوج . يتقدم العبيد وهم يحضرون إلى المنصة الصغيرة أشياءً متنوعة ويتراجعون) .

هيليكون : الحقائق المريعة . لأول مرة ، تشاهدون قوى السماء ، هنا على الأرض ، بكل عظمتها تختطف أشباح الوحوش : الصاعقة ، **(يشعل العبيد مشاعل اغريقية)** ، البرق **(يدحرجون براميلاً صغيرة مليئة بالأحجار)** ، القدر ذاته في بهجة احتفالية ! اقتربوا وشاهدوا !
(تزاح الستارة الوسطى ، فيظهر كاليجولا على منصة مرتدياً ملابس فينوس بشكل بهلواني) .

كاليجولا : (بلطف) . اليوم أنا ـ فينوس !

سيزونيا : تبدأ طقوس تقديم الولاء وذلك بالانحناء حتى الركب .
(يسجد الجميع على ركبهم ماعدا سيبيون)
وكرروا خلفي الصلاة المقدسة : كاليجولا ـ فينوس ، آلهة الرقص والشجن . . .

النبلاء : آلهة الرقص والشجن . . .

سيزونيا : حفيدة الأمواج المتمخضة بالمرارة واللزوجة من أملاح وزَبَد البحر . . . .

النبلاء : حفيدة الأمواج المتمخضة بالمرارة واللزوجة من أملاح وزبد البحر . . .

سيزونيا : أنتِ البسمة والرحمة .

النبلاء : أنتِ البسمة والرحمة .

سيزونيا : . . . الظلم والابتهاج . . . .

النبلاء : الظلم واللاابتهاج .

سيزونيا : علمينا عدم المبالاة بالحب المتوقد . . .

النبلاء : علمينا عدم المبالاة بالحب المتوقد . . . .

سيزونيا : أرشدينا إلى حقيقة هذا العالم ، الذي انعدمت فيه كل حقيقة . . .

النبلاء : أرشدينا إلى حقيقة هذا العالم ، الذي انعدمت فيه كل حقيقة . . . .

سيزونيا : وأنعمي علينا بالقوة ، لنصبح جديرين بهذه الحقيقة غير العادلة . . .

النبلاء : وأنعمي علينا بالقوة لنصبح جديرين بهذه الحقيقة غير العادلة . . . . .

سيزونيا : إستراحة .

النبلاء : استراحة .

سيزونيا : (**تعود إلى الدعاء**) . هبينا من هداياك . إلفحي وجوهنا بمعالم قسوتك الرهيبة وبُغْضَكِ العجيب واقذفي عيوننا بحفنات من الورود والموت .

النبلاء : . . . حفنات كثيرة من الورود والموت .

سيزونيا : انظري في أمر عبيدك الضالين المحمومين ، وانزلي بهم العذاب للامبالاتهم ولحبهم الضنين . وزعي عليهم آيات الجزع والحزن لأيما سبب واغمرينا بالأفراح التي لامستقبل لها .

النبلاء : واغمرينا بالأفراح التي لامستقبل لها . . .

سيزونيا : (**بصوت عال يشبه الصراخ**) . أنت أيتها المكتسحة المحرقة . يامن لست من صنو البشر ، لكنك على الأرض ، أغرقينا بالخمور اكراماً لنا على لامبالاتنا واحبسينا في قلبك المظلم القذر وإلى الأبد .

النبلاء : أغرقينا بالخمور إكراماً لنا على لامبالاتنا واحبسينا في قلبك المظلم القذر وإلى الأبد .

(عندما ينتهي النبلاء من ترديد آخر جملة من الدعاء ، يتقدم كاليجولا ، الذي كان طوال وقت الدعاء واجماً دونما حراك ، يتقدم وينفجر ضاحكاً ويتكلم بصوت جهوري) .

كاليجولا : أجل ، سنعمل على تحقيق دعاءاتكم ياأبنائي .

(يجلس على المنصة على الطريقة التركية . ويتقدم النبلاء بالطابور ويسجدون واحداً تلو الآخر ويقدمون الدراهم . وقبل أن يغادروا يلتمون في الزاوية اليمنى من خشبة المسرح . أما الأخير منهم ـــ فلهول الدهشة ـــ ينسى أن يقدم الدراهم ، ولدى شروعه بمغادرة المكان ينتصب كاليجولا صائحاً) .

أنت ، هيه أنت ! عد إلى هنا ياصغيري ! إن السجود جميل ، لكن تقديم الدراهم أجمل . **(يعود ويقدم الدراهم معتذراً) .** شكراً . هذا حسن . فلو أن الالهة لم تمتلك كنوزاً ، سوى حب الموتى ، لبقيت فقيرة ككاليجولا الدرويش . والآن ، أيها السادة تستطيعون الانصراف واعلام المدينة عن الأعاجيب المدهشة ، التي تسنى لكم مشاهدتها . لقد شاهدتم فينوس ، وأدركتم بحواسكم جميعها عظمة فينوس ـ آلهة الرقص والشجن ، انصرفوا .

(ينوي النبلاء الخروج)

مهلاً ! اخرجوا من الباب الأيسر ، إذ ينتظرونكم عند الباب الأيمن جنود يحملون أوامر بقتلكم .

(يغادر النبلاء باضطراب ودون نظام . يختفي العبيد والموسيقيون من على خشبة المسرح) .

المشهد الثاني

(يشير هيليكون باصبعه مهدداً سيبيون)

هيليكون : ألا تزال فوضوياً ياسيبيون ؟

سيبيون : **(يوجه كلامه إلى كاليجولا)** . أنت تقوم بالتجديف على الآلهة ياكايوس .

هيليكون : ماالذي يعنيه هذا ؟

سيبيون : ملأت الأرض بالدماء ، والآن تزرع السماء قذارة .

هيليكون : هذا الفتى ، يتفوه بكلمات أكبر منه .

(يثبت جسمه على متكئه) .

سيزونيا : **(بهدوء مطلق)** . كم أنت مندفعاً أيها الصغير . في هذه الدقيقة ، يموت الناس في روما حتى لو نطقت ملامحهم كلاماً قليل الطراوة .

سيبيون : قررت أن أواجه كايوس بالحقيقة .

سيزونيا : لماذا . كاليجولا واعظ ، ولاينقصه مثل هذه الشخصية المزهوة بنفسها .

كاليجولا : **(باهتمام شديد)** . أهذا يعني أنك تؤمن بالآلهة ياسيبيون ؟

سيبيون : كلا .

كاليجولا : إذن . أنا لاأفهم لماذا تتحدث عن التجديف بشكل متوقد .

سيبيون : لاأستطيع أن أقاسمك القناعات ، وبالرغم من ذلك فأنا لاأسلب الآخرين قناعاتهم .

كاليجولا : هذا هو التواضع بعينه ، تواضع حقيقي ! آه ، ياعزيزي سيبيون ، كم أنا سعيد بك . وأنا أحسدك . وهذا الحسد ، هو الشعور الوحيد ،الذي لن أمتلكه قط .

سيبيون : أنت لاتحسدني ، بل تحسد الآلهة .

كاليجولا : إذا سمحت ، هذا سيبقى سراً عظيماً ، تبنى عليه سلطتي . وكل مايمكن أن أُلام عليه ، هو أنني تحركت قليلاً على طريق العظمة والحرية . والرجل الذي يحب السلطة ، تشغله مزاحمة الآلهة . وأنا انتهيت من هذه الحالة . وأثبت لهذه الآلهة الوهمية ، أنه إذا ما امتلك الانسان الارادة فسيغدو قادراً على ممارسة مهنتها السابقة ، دونما سابق اعداد .

سيبيون : وهذا مايدعى بالتجديف ، ياكايوس !

كاليجولا : لا ، ياسيبيون ! إنه التبصير . فقد أدركت أخيراً ، أن السبيل الوحيد لمضاهاة الآلهة ، هو أن تكون قاسياً مثلها .

سيبيون : أي ، أن تكون طاغية ، بما فيه الكفاية ؟

كاليجولا : ماهو الطاغية ؟

سيبيون : روح عمياء .

كاليجولا : هذا ، يحتاج إلى برهان ياسيبيون . الطاغية هو من يضحي بالشعوب لعرس نرجسيته . أنا لاأملك مبادئ ، لهذا لايوجد عندي أية مطامع . أنا أستخدم السلطة لمكافئة ذاتي وللتعويض فحسب .

سيبيون : على ماذا ؟

كاليجولا : على شر وبلادة الآلهة .

سيبيون : الشر لايُدرأ بالشر . والسلطة لاتحل مثل هذه المسائل . والذي أعرفه هو وسيلة واحدة ، هي الوقوف في وجه شرور العالم .

كاليجولا : كيف ، ماهي ؟

سيبيون : بالتطهر .

كاليجولا : (يطوي رجلاً على أخرى) . وينبغي أن نجرب هذا أيضاً .

سيبيون : وحتى يحين ذلك ، يموت حولك الكثيرون .

كاليجولا : في الحقيقة ، الأمر ليس كذلك تماماً ، ياسيبيون . أتعرف عدد الحروب ، التي رفضت خوضها ؟

سيبيون : كلا .

كاليجولا : ثلاث . أتعلم لماذا رفضت خوضها ؟

سيبيون : لأنك أردت أن تبصق على عظمة روما ؟ لأن هذه العظمة لاتعنيك .

كاليجولا : كلا ، بل لأنني أحترم الروح البشرية .

سيبيون : ها أنت تهزأ ياكايوس .

كاليجولا : أو بالحد الأدنى ، أحترمها أكثر من احترامي لإكليل غار النصر . ومع ذلك ، أنا لا أحترم حياة الآخرين أكثر من احترامي لحياتي . وماهان عليَّ القتل ، إلا لأنني استسهل الموت . أنت مخطئ ياسيبيون . فكلما تفرست بالأمر أكثر ، كلما اقتنعت أكثر أني لست بطاغية .

سيبيون : ما الفرق ، مادمت تكلفنا الثمن ذاته ؟

كاليجولا : **(يبدأ صبره بالنفاذ)** . لو أنك تجيد الحساب ، لأدركت أن أصغر الحروب ، التي يشنها طاغية عاقل ، كانت ستكلفكم أكثر بمئات المرات مما تكلفكم نزواتي وشهواتي الآن .

سيبيون : لكنها ستكون مدركة للعقل السليم . نعم لن تكون عصية عن الادراك .

كاليجولا : العقل لايدرك أحكام القدر . لذا جعلت من نفسي قدراً . وقررت تقمص صورة الالهة البلهاء ذات الطلاسم والتي اعتاد الاسبقون تقديسها .

سيبيون : وهذا هو التجديف بعينه ، ياكايوس !

كاليجولا : لا ، ياسيبيون ، إنه فن مسرحي . وخطيئة هؤلاء الناس جميعاً ، تكمن في عدم إيمانهم بالمسرح بما فيه الكفاية . فلو كان الأمر معاكساً ، لعرفوا أن اللعب بتراجيديا السماء والتحول إلى الالهة ـ هو أمر في غاية السهولة وبمقدور كل انسان أن يمارسه . وماعليه لصنع ذلك إلا أن يقتلع الرأفة من القلب .

سيبيون : قد تكون مصيباً . لكن ، إذا كانت تلك هي الحقيقة ، فلا بد أنك صنعت كل ماهو ضروري لكي تقف حولك تلال عظيمة من شاكلة هذه الآلهة الأرضية ، التي لاترحم . وخلال ساعة واحدة فقط ستغرق عظمتك الألوهية بالدم .

سيزونيا : كفى ياسيبيون . .

كاليجولا : **(مقاطعاً إياها بحدة)** . دعيه ياسيزونيا . ياسيبيون ، أنت لاتدرك معنى مانطقت به . أما ماصنعته أنا ، فقد اقتضته الأمور . وكم أقاسي حينما اتصور تلك اللحظة ، التي تتحدث عنها ، إلا أنني أحلم بها أحياناً وأشاهدها في جميع الوجوه ، التي تنبثق من هذا الليل الكالح وعلى هيئات الرجال ، التي تموج كراهيةً وانذاراً ، وخلالها أرى صورة ذلك الاله الأوحد ، الذي أخشع له على هذه الأرض :الرب الشرير والذليل ـ قلب الانسان . **(يرتجف)** . والآن أغرب عن وجهي . لقد افرطت بالحديث . (في لهجة أخرى) . يتوجب عليَّ أن أطلي أظافر قدمي بالصباغ وهذا أمر لايجوز تأجيله .**(يخرج الجميع ماعدا هيليكون ، الذي يحوم حول كاليجولا وكله رغبة بالقيام بمهمة طلاء أظافره)** .

المشهد الثالث

كاليجولا : ياهيلكون !

هيليكون : ماالخطب ؟
كاليجولا : اقترب ، هذه مهمتك .
هيليكون : أية مهمة ؟
كاليجولا : كيف ، أنسيت ادراك القمر ؟
هيليكون : **(يدنو رويداً)** . عليك بالصبر فقط . وددت التحدث إليك .
كاليجولا : الصبر لايعوزني . لكن ليس على حساب الوقت . يجب الاسراع ياهيليكون .
هيليكون : كنت قد وعدتك بأن أبذل غاية جهدي لتحقيق ذلك . إلا أنني بادئ الأمر سأطلعك على أمور هامة .
كاليجولا : **(كأنه لم يسمع)** . أتعلم أنني أدركته أكثر من أي وقت مضى .
هيليكون : مَنْ ؟
كاليجولا : القمر .
هيليكون : أجل ! أتعلم أن هنالك مؤامرة تحاك ضدك ؟
كاليجولا : بدا بدراً . نعم ، حدث هذا مرتين أو ثلاث فقط . إلا أنه كان لي .
هيليكون : منذ وقت طويل ، وأنا أحاول التحدث إليك .
كاليجولا : كان هذا في الصيف المنصرم . نظرت إليه ولاطفته وسجدت له على ركبتي . إلا أنه أدرك مرامي ، عندما اطلت النظر إليه ولمست جبينه بأصابعي ، ذلك الجبين الذي كان ساطعاً على أعمدة الحديقة .
هيليكون : دعنا من هذه اللعبة ياكايوس . لنفرض أنك لاتريد الاستماع إليَّ . سيان . لكن واجبي يدفعني إلى البوح . وإذا لم تُثر انتباهاً لحديثي فسيكون الأمر أسوأ .
كاليجولا : **(يتابع طلاء أظافر قدميه بدقة متناهية)** . لايصلح هذا الطلاء لأي

شيء . نعم ، دعنا نعود إلى القمر . حدث هذا في ليلة من ليالي آب الفاتنة .

(يظهر الضجر على وجه هيليكون ، يدير ظهره ويصمت ويتجمد في مكانه) .

في البدء ، تغنج قليلاً . وفي البدء أيضاً كان لونه أحمر كالدم ووقف تحت الأفق مباشرة . بعدها تسلق صاعداً بتسارع ثم توقف فجأة وكلما كان يصعد أكثر ، كلما لاح وضاءً . وكان كبحيرة حليب في ظلام دامس ، يعج بنجوم غامزة . وأخيراً ، ظهر في الهزيع الأخير من تلك الليلة الدافئة ، بدا لطيفاً ، رشيقاً وعارياً . قصد فراشي ودنا منه بثقة وهدوء ودخل تحته وغمرني بابتسامة مشرقة . **(كاليجولا متابعاً طلاء أظافره ، يقول بعصبية)** . أوه ، اللعنة ، إن هذا الطلاء لايصلح لأي شيء . أترى ياهيليكون ؟ إني أستطيع القول ، دون تبجح ، أن هذا القمر لي .

هيليكون : هل تريد أن تعلم ، أين مكمن الخطر عليك ؟

كاليجولا : **(يتوقف عن طلاء أظافره ويسلط عليه نظرة ثاقبة)** لاأريد إلا القمر ، ياهيليكون . أنا أعلم مسبقاً ، من أين سيأتي الموت . لكنني إلى الآن لم أفقد ذلك الشيء الذي يجعلني أحيا . لذا أريد القمر . لاتأتي إلى هنا قبل أن تحضره لي .

هيليكون : مهما يكن . فإنني سأقوم بتنفيذ واجبي وأقول مايتوجب عليَّ قوله . هناك مؤامرة تحاك ضدك يتزعمها شيريا . وتسنى لي الحصول على هذه اللائحة التي من خلالها تستطيع معرفة الشيء المهم . وها أنذا أضعها بين يديك .

(يضع هيليكون لائحة على أحد الأرائك ويتوجه إلى الخارج)

كاليجولا : إلى أين أنت ذاهب ياهيليكون ؟

هيليكون : (من العتبة) . في سبيلي لأُحضر لك القمر !

المشهد الرابع

(حركة من جهة الباب الآخر . يستدير فجأة ، فيرى النبيل المسن) .

النبيل المسن : (بتلكئ) . أيمكنني الدخول ياكايوس ؟

كاليجولا : (بنفاذ صبر) . ادخل . **(متمعناً إياه)** . يعني هذا ، أننا وصلنا مرة أخرى لمشاهدة فينوس ، ياعزيزتي ! .

النبيل المسن : كلا ، الأمر ليس كذلك . ت . س . س ! اعذرني ياكايوس . . . أريد أن أقول . . . أنت تعلم مقدار محبتي لك . . . الشيء الوحيد الذي أطلبه ، هو أن أعيش بقية حياتي بهدوء . . .

كاليجولا : باختصار ! باختصار !

النبيل المسن : أجل ، حسن . **(يتكلم بسرعة)**، إنه أمر جدي جداً ، وهو كل شيء .

كاليجولا : كلا . هذا ليس بالأمر الجاد .

النبيل المسن : ماهو ، غير الجاد ، ياكايوس ؟

كاليجولا : أجل ، عن ماذا كنا نتحدث ، يافرحتي ؟

النبيل المسن : (يتلفت فجأة) . هناك مؤامرة تحاك ضدك . . .

كاليجولا : أترى . كنت قد قلت ، أن هذا ليس بالأمر الجاد .

النبيل المسن : ياكايوس ! يريدون قتلك .

كاليجولا : (يدنو منه ويمسكه من تلابيبه) . أتدري لماذا لاأريد تصديقك ؟

النبيل المسن : (إيماءة من يريد حلف اليمين) . استنجد بجميع الآلهة ، ياكايوس .

كاليجولا : (يدفعه إلى الخارج بلطف وهدوء) . لاتنحني ، الأهم أن

لاتنحني . الأفضل أن تصغي إليَّ : إذا كان ماقلته صحيحاً ، عندها تكون قد خنت أصدقاءك ، أليس كذلك ؟

النبيل المسن : **(في اضطراب)** . لكن ، حبي لك ، ياكايوس .

كاليجولا : **(بذات اللهجة)** . وأنا لاأستطيع افتراض ذلك . إنني أمقت كل خيانة . والخائن لاأطيق تحمله . سأسوقه إلى الاعدام . وأنا أعلم جيداً كهنوت انسانيتك . فأنت طبعاً لاتقصد الغدر ولاالموت .

النبيل المسن : طبعاً ، طبعاً ، ياكايوس !

كاليجولا : أترى ، كنت محقاً ، حينما لم أصدقك . إنك لست بسافلٍ . أليس كذلك ؟

النبيل المسن : أوه ، كلا . . .

كاليجولا : ولست خائناً ؟

النبيل المسن : هذا مفهوم جداً ، ياكايوس !

كاليجولا : إذن ، هذا يعني أنه لاتوجد هنالك أية مؤامرة . أكان قولك مجرد دعابة ؟ قل .

النبيل المسن : **(في حيرة من أمره)** . دعابة ، دعابة بيضاء .

كاليجولا : ومن الجلي ، أن لاأحد يقصد قتلي .

النبيل المسن : لاأحد ، طبعاً ، لاأحد .

كاليجولا : **(يتنفس الصعداء ويتابع حديثه ببطء)** . إذن اغربي عني يارائعتي . الانسان شرف ـ إنه من المخلوقات النادرة والفريدة في هذا العالم ، وليس بمقدوري أن أمقته على الدوام . أُريد أن أبقى وحيداً ، كي أعيش هذه اللحظات الرائعة .

المشهد الخامس

(يبقى كاليجولا مدة من الزمن دون حركة متمعناً اللائحة . بعد

ذلك ، يباشر قراءتها ومن ثم يتنفس الصعداء ويستدعي الخفير) .

كاليجولا : أحضر شيريا إلى هنا ، فوراً .

(يتوجه الخفير إلى الخارج) .

(يخرج الخفير) . (يبدأ كاليجولا بقياس القاعة بخطواته . بعدها يتوجه إلى المرآة) . أخيراً ، أصبحت منطقياً ، أيها الأبله ! بقي عليك أن تعرف الطريق الذي سيقودك إليه هذا المنطق . **(بسخرية)** . لو أنهم جلبوا لك القمر ، لتبدلت الأمور ، أليس كذلك ؟ ولأصبح المستحيل ممكناً ولتكثف الزمن في لحظة واحدة . مرة وإلى الأبد . لماذا لايكون الأمر كذلك ، ياكاليجولا ؟ كيف أستطيع أن أعرف ؟ **(يتلفت حول نفسه)** . الناس من حولي يتناقصون مع مرور الأيام . هذا غريب . **(ناظراً إلى المرآة ، وبصوت مبحوح)** . إن عدد الأموات كبير ، كبير جداً . ماهذا الخواء ؟ حتى لو امتلكت القمر ، فلن أستطيع أن أتراجع . حتى ولو أخذ الأموات يتململون تحت أشعة الشمس ، فإن القتلة لن يطمروا تحت التراب من جراء ذلك . **(في غيظ)** . المنطق ، ياكاليجولا . يجب التمسك بالمنطق وبحزم . السلطة المطلقة ، الثقة المطلقة بجبروتك . كلا ، لن أتراجع ، يجب الاستمرار حتى النهاية .

(يدخل شيريا)

المشهد السادس

(يحزم كاليجولا نفسه بالمعطف جيداً ويسند ظهره على الأريكة

وتبدو عليه معالم التعب) .

شيريا : هل استدعيتني ، ياكايوس ؟

كاليجولا : **(بصوت خائر)** . أجل ، ياشيريا . الحراسة ! المشاعل !

(برهة صمت)

شيريا : هل رغبت بأن تحدثني عن أمر ما ؟

كاليجولا : لا ، ياشيريا . **(برهة صمت)** .

شيريا : **(مضطرب قليلاً)** . هل أنت على قناعة بأن حضوري ضروري ؟

كاليجولا : غاية الثقة ، ياشيريا . **(يخيم الصمت من جديد ، بعدها يتحدث بأناة)** . اعذرني ياشيريا لأنني مشتت ولم أحسن استقبالك . اجلس هنا ، على هذه الأريكة كي نتحدث حديث الأصدقاء . عندي رغبة عارمة لمحادثة انسان ذكي .

(يجلس شيريا . ولأول مرة منذ بداية المسرحية يتماسك غير مكره) .

ماذا تقول ياشيريا . أبمقدور انسانين متساويي العزة والكبرياء أن يتحدثا بقلبين منفتحين ويتكاشفا إلى حد العري ويتجردا من كل وهم ورياء ويبوحا بكل الأسرار والنوايا والحسابات ، التي يعيشان تحت كابوسها ولو لمرة واحدة في الحياة .

شيريا : أظن أن هذا ممكن ياكايوس . لكن لاأظنك قادراً على ذلك .

كاليجولا : أنت على حق . أردت أن أعرف مدى اتفاقك معي حول هذا الرأي . دعنا نرتدي الأقنعة ولنتسلح كلٌ بوهمه . ولنموه أنفسنا في هذا اللقاء ، كما في المعركة ، بالحواجز والمكامن . والآن . لماذا لاتحبني ، ياشيريا ؟

شيريا : لأنه لايوجد فيك شيء أهلاً للحب ، يا كايوس . في الحب ، لاتجدي الأوامر . بالاضافة إلى معرفتي الجيدة بك . إذ لايجوز أن

نحب في الآخرين مانحاول ستره عن أنفسنا .

كاليجولا : لماذا تكرهني ؟

شيريا : في هذا ، أنت على خطأ ياكايوس . أنا لاأكن أية كراهية لك . بل اعتبرك خطراً وقاسياً وأنانياً ومغروراً . غير أني لاأكرهك ، لأنك لاتتراءى لي سعيداً . ولا أستطيع أن أحسدك ، لأنك جبان .

كاليجولا : إذن ، لماذا تريد قتلي ؟

شيريا : كنت قد قلت : أعتبرك خطراً . إنني أثمن الخير الآمن واعتبره ضرورياً لي . والناس عامة كذلك أيضاً . فهم لايستطيعون العيش في ذلك العالم ، الذي تصبح فيه أية أفكار هذيانية واقعاً وحقيقة وتدخل حياتهم في أية لحظة ـ وغالباً ماتدخل كخنجر في القلب . وأنا لاأرغب الحياة في عالم كهذا . وأفضل أن أدوس دائماً على تربة صلدة .

كاليجولا : لاخير ، في مخالفة المنطق .

هذا حق ، وتلك الرؤية ليست منطقية ، إلا أنها سليمة .

كاليجولا : وبعد ؟

شيريا : لم يبق لدي ماأقوله . لاأريد أن أشاركك في منطقك . فعندي مفاهيم أخرى عن الخير الانساني . وأعلم أن العديد من أتباعك المخلصين يفكرون كما أفكر . أنت تعيق الجميع . لهذا يجب أن تزول .

كاليجولا : كل هذا ، واضح وعادل ، عادل جداً . وقد يكون بديهياً لعامة الناس ، لكن لاينبغي أن يكون كذلك بالنسبة لك . أنت ذكي جداً ، وهذا الذكاء سيكلفك غالياً ، إذا لم ترتد عنه . أنا أدفع الثمن . فلماذا ؟ لاأنت تريد أن ترتد ولا أن تدفع الثمن ؟

شيريا : لأنني أحب الحياة ، وأحب أن أكون سعيداً فيها . ولايمكنني أن أحصل على هذا أو ذاك ، إن تركت هذا المنطق يصل إلى نهايته

بما يجر خلفه من عواقب . ماأنا إلا إنسان عادي . . . يثقلني هذا أحياناً ، وعندها أتمنى الموت للذين أحبهم وأحياناً أخرى أحلم بهاتيك النسوة ، اللائي تحرمها علينا قوانين الأسرة أو واجبات الصداقة . فلو كنت منطقياً ، لتوجب عليَّ ، في مثل هذه الحالات ، أن أقتل وأخطف النساء . لكنني أعتبر أن هذه التصرفات شيئٌ من الفتنة والنزوات ، لاوزن لها . وإذا اعتبرنا أن كل شيء مباح ، لما استطعنا أن نحيا ، سعداء . وأنا أعتبر أن هذا الأمر يحتل عندي أهمية كبرى .

كاليجولا : إذن ، أنت تؤمن بالمثل السامية .

شيريا : أؤمن بأن بعض الأفعال أسمى من غيرها .

كاليجولا : أما أنا فأؤمن بأنها جميعاً تحتل ذات المنزلة .

شيريا : أعلم هذا أيضاً . لهذا لاأستطيع أن أنقم عليك . إلا أنك تشكل عائقاً ويجب أن تختفي .

كاليجولا : هذا عدل ، لكن لمَ تصرّح لي بذلك وتخاطر بحياتك ؟

شيريا : لأني أريد أن يقف الآخرون موقفي ولأني ، أيضاً لاأحب الافك . (**برهة صمت**) .

كاليجولا : ياشيريا !

شيريا : نعم ، ياكايوس ! . .

كاليجولا : ماذا تقول . أبمقدور انسانين متساويي العزة والكبرياء ، أن يتحدثا . . . بقلبين منفتحين ولو لمرة واحة في الحياة ؟

شيريا : أظن ذلك ، وهذا ماقمنا به سوية .

كاليجولا : أجل ، ياشيريا ! إلا أنك لم تعتبر نفسك قادراً على ذلك .

شيريا : كنت مخطئاً ، ياكايوس . اعترف بذلك وأشكرك . والآن أنا

بانتظار حكمك .

كاليجولا : (**شارد الذهن**) حكمي ؟ أجل ! أتعني . . . (**يخرج اللائحة من تحت معطفه**) . أتعلم ماهذا ياشيريا ؟

شيريا : علمت ، أنها وصلت إليك .

كاليجولا : (**بحماسة**) . لهذا ياشيريا ، كانت حماستك وصراحتك متصنعة . وحصل أن الرجلان لم يتناجا بقلوب مفتوحة . لكن دعك من هذا ، فلا أهمية له . والآن لنطلق لعبة الصراحة هذه ، ولنعد إلى سابق عهدنا . يتوجب عليك من جديد أن تحاول جاداً استيعاب ماسأقوله وأن تصبر على إهاناتي وأهوائي . تأمل ياشيريا هذه اللائحة ـ إنها البرهان الوحيد .

شيريا : دعني أنصرف ، ياكايوس . فقد مللت من كل هذه التلميحات والتهديدات الحاقدة . أعرفها جيداً ولاأريد الاستماع إليها قط .

كاليجولا : (**بنفس درجة التوقد والحسم**) . انتظر . هذا هو المستمسك الوحيد ، أليس كذلك ؟

شيريا : لاأظن أنك بحاجة إلى مستمسك ، لترسل أحدهم إلى الاعدام .

كاليجولا : هذا صحيح . لكنني أريد أن أناقض نفسي في هذه المرة . ومافي ذلك حرج . أن تبدل ما في نفسك من حين إلى آخر ، أمر ممتع ومريح للأعصاب . أحتاج إلى الراحة ، ياشيريا .

شيريا : لا أفهم ما تريد . وبشكل عام ، أنا لست من أولئك الذي يستصيغون مثل هذه التقلبات .

كاليجولا : هذا واضح ياشيريا . فأنت رجل سليم الذهن ، لاتطمح إلى العجيب الشاذ من الأمور . (**ينفجر ضاحكاً**) . لاتطمح إلا بحياة سعيدة . وهذا كل مافي الأمر .

شيريا : أعتقد ، أنه يجب أن نقف عند هذا الحد !

كاليجولا : ليس بعد . إن بعض الصبر جميل . انظر إلى هذا المستمسك ، الذي بدونه لأستطيع اعدامك . وفي هذا تنحصر راحتي ونزواتي . والآن تمعن إلى ماذا سيتحول هذا المستمسك بين يدي الامبراطور .
(يحمل اللائحة ويجعلها تلامس المشعل . يدنو شيريا ليصبح على مقربة منه وبينهما المشعل . واللائحة تذوي احتراقاً) . أرأيت أيها المتآمر ! إنها تذوي ، فبقدر مايؤول هذا المستمسك إلى الذوبان ، بذلك القدر يحتل شروق البراءة على وجهك . إنك ياشيريا تمتلك خصالاً رائعة وشريفة . كم هو رائع ، ذلك الانسان البريء ، كم هو رائع ؟ فهل تقدر عظمتي . حتى الآلهة ، غير قادرة على أن تعيد البراءة ولأن تبعث القصاص من جديد . وامبراطورك لم يحتاج إلا للسان القبيلة ليجعلك من جديد ، دون ذنوب ومتخلصاً من جزع سيطر عليك ، تابع ، ياشيريا . أوصل هذه المحاكمات العظيمة إلى نهايتها ، تلك التي سمعتها للتو منك . فامبراطورك يترقب ساعة الخلاص وهذه هي الوسيلة الوحيدة ، التي تجعله يحيا سعيداً .
(ينظر شيريا إلى كاليجولا وتبدو على وجهه امارات الانفراج . يسير بخطوات رزينة ، يفتح فاه كأنه يريد الكلام ، لكنه يخرج فجأة . وكاليجولا لايزال ممسكاً باللائحة فوق النار ويودع شيريا بنظرة جانبية وهو يبتسم) .

تسدل الستارة

الفصل الرابع

المشهد الأول

(ترفع الستارة . يخيم الظلام على خشبة المسرح . يدخل كل من شيريا وسيبيون . يتوجه شيريا إلى اليمين أولاً وبعدها ينحرف إلى اليسار عائداً إلى حيث يقف سيبيون) .

سيبيون : **(بتعبير مبهم)** . ماذا تريد مني ؟

شيريا : الزمن يستعجلنا . يجب علينا أن نصمد على ماقررناه .

سيبيون : من قال لك ، أني غيرت موقفي ؟

شيريا : لم تحضر لقاءنا البارحة .

سيبيون : **(أشاح وجهه)** . هذه هي الحقيقة ياشيريا .

شيريا : ياسيبيون ! أنا أكبر منك سناً ولم أعتد على طلب المساعدة . لكنني أحتاج إليك فعلاً . والمسؤولية عن مثل هكذا جريمة قتل ، يجب أن يتحملها رجال جديرون بالإحترام . ففي هذه اللعبة ، المشبعة بالنرجسية والمخاوف الصغيرة ، لايوجد عند أحد قناعات شريفة إلا عندي وعندك . فإذا أقدمت على تركنا ، أعتقد أن كل شيء سيضيع عندها . والأمر لاينحصر في ذلك فقط ، فأنا أريد أن تبقى معنا .

سيبيون : إني أدرك ذلك . لكنني ، أقسم لك ، أنني لاأستطيع .

شيريا : إذن . أنت في صفه .

سيبيون : كلا ، إلا أنني لاأستطيع الوقوف ضده . **(يصمت قليلاً ، بعدها يتابع بصوت خافت)** . حتى لو قتلته ، سيبقى قلبي معه .

شيريا : لكنه قتل أبيك !

سيبيون : أجل ، ومن هنا يبدأ كل شيء وبه ينتهي كل شيء أيضاً .

شيريا : إنه يرفض اعترافك وهو يزدري ، الذي أقسمت به .

سيبيون : هذه هي الحقيقة ياشيريا . لكن هنالك مايجمعني معه . إن روحينا تشتعلان بذات الجمار .

شيريا : تمر لحظات ، نصبح فيها مجبرين على الاختيار . ويجب أن يجبر مايشابهه فيك على الصمت .

سيبيون : لاأستطيع الاختيار . لأنني أشعر بألمه كشعوري بألمي . وتنحصر تعاستي في أنني أدرك كل شيء .

شيريا : إذن . فخيارك الإعتراف بأنه على حق .

سيبيون : **(بصرخة استغاثة)** . صدقني ياشيريا ، إنني منذ اليوم فصاعداً لايمكن أن أعترف بأحقية أي كان قط .

(برهة من الصمت ، يتمعن خلالها أحدهما الآخر) .

شيريا : **(يدنو من سيبيون وهو بحالة اضطراب)** . إني أمقته مقتاً تزايدت قوته ، بعد الذي فعله معك .

سيبيون : علمني وجوب الالتماس دون نهاية .

شيريا : لا ، سيبيون . انتزع منك الأمل . وانتزاع الأمل من روح فتية ـ أرهب من كل الجرائم التي اقترفها . وأقسم لك أن هذا يكفي لاطلاق عنان الحقد عليه وقتله .

(يستدير خارجاً) . **(يدخل هيليكون)** .

المشهد الثاني

هيليكون : ابحث عنك ياشيريا . سيقيم كاليجولا هنا أمسية للأصدقاء . يجب أن تحضرها . **(يستدير إلى سيبيون)** . أما أنت ياعزيزي ، فلسنا بحاجة إليك وتستطيع الانصراف .

سيبيون : **(أثناء خروجه يستدير ناظراً إلى شيريا)** . ياشيريا .

شيريا : **(بلطف)** . نعم ، ياسيبيون .

سيبيون : حاول أن تستوعب .

شيريا : **(بلطف شديد)** . كلا ، ياسيبيون .

(يغادر كلاً من هيليكون وسيبيون) .

المشهد الثالث

(صرير أسلحة من خلف كواليس المسرح . من اليمين يظهر خفيران يقودان النبيل المسن والنبيل الأول ، ويبدو على الأخيرين إمارات الخوف) .

النبيل الأول : **(يوجه حديثه إلى الخفير محاولاً أن يعطي لصوته نبرة الواثق)** . ماذا يريدون منا ، في نهاية المطاف ، في مثل هذه الساعة المتأخرة ؟

الخفير : **(مشيراً إلى الأريكة الموجودة إلى اليمين)** . اجلس هنا .

النبيل الأول : إذا كانوا يريدون اعدامنا كغيرنا ، فلا حاجة إذاً لمثل هذه الاستعدادات المعقدة .

الخفير : اجلس هنا ، أيها الحمار الطاعن في السن .

النبيل المسن : سنجلس . من الواضح أن هذا الرجل لايعرف شيئاً .

الخفير : أجل ، ياعزيزي ، هذا واضح . **(يخرج)** .

النبيل الأول : كنت أدرك أنه كان يجب علينا الاسراع . أما الآن فينتظرنا العذاب .

المشهد الرابع

شيريا : **(يتمجلس على الأريكة بهدوء)** . ماالخبر ؟

النبيل الأول والنبيل المسن : **(في صوت غنائي واحد)** . لقد فُضحت المؤامرة .

شيريا : وماذا بعد ؟

النبيل المسن : **(مرتجفاً)** . هذا يعني ـ أن التعذيب ينتظرنا . . . .

شيريا : **(برباطة جأش)** . أُذكرك بما أقدم عليه كاليجولا ، حينما منح أحد العبيد اللصوص إحدى وثمانين ألف دينار مكافأةً له لأنه لم يعترف تحت وابل التعذيب .

النبيل الأول : إلى أية حالة وصلنا ؟ ياله من عزاء لنا ؟

شيريا : كلا ، فذلك يدل على اعجابه بالشجاعة والرجولة . يجب أن تأخذوا هذا بنظر الاعتبار . **(يوجه حديثه إلى النبيل المسن)** . ألديك مانع بتوقيف أسنانك عن الاصطكاك . لاأطيق تحمل هذا الصوت .

النبيل المسن : ماذا ؟ أنا . . .

النبيل الأول : كفى . نحن نخاطر بحيواتنا .

شيريا : **(برباطة جأش)** . أتعرفون عبارة كاليجولا المحببة ؟

النبيل المسن : **(بحالة قريبة من الاجهاش بالبكاء)** . أجل . حينما يخاطب السياف قائلاً : **(اقتل بتروي ، دعه يتذوق طعم الموت جيداً)** .

شيريا : كلا ، بل هي غير ذلك ، لكنها أكثر فظاعة . حيث ينظر إلى من سينفذ به الاعدام متثائباً وعلى الأثر يقول بجدية منقطعة النظير:

(إن أكثر مايثير اعجابي ــ هو اللامبالاة) .

النبيل الأول : أتسمعون ؟

(تسمع أصوات صرير أسلحة) .

شيريا : إنها عبارة ، تكشف عن ضعفه .

النبيل المسن : ألديك مانع في أن تتفضل وتتوقف عن التفلسف . فأنا لاأحتمل ذلك .

(يظهر عبد من عمق خشبة المسرح حاملاً سيوفاً ، يتقدم ويضعها على أحد المقاعد) .

شيريا : **(لم ير العبد)** . على أية حال . يجب الاعتراف أن لهذا الرجل تأثير كبير على الآخرين بحيث يرغمهم على إجالة الفكر طويلاً ، والقلق ـ هو الذي يجبرنا على إجالة الفكر . لهذا السبب اكتسب كراهية غالبية الناس .

النبيل الأول : **(مرتجفاً) . انظر !**

شيريا : **(تتغير نبرة صوته بعد أن يرى السيوف)** . لعلك كنت على صواب .

النبيل الأول : كان يجب الاسراع . تباطأنا أكثر من اللازم .

شيريا : نعم ، هذا درس نتأخر دائماً باستيعابه وأتى بعد فوات الأوان .

النبيل المسن : لكن ، هذا سخف ، فأنا لاأريد أن أموت .

(يقف محاولاً الفرار . في الحال يظهر خفيران . يمسكانه ويهزانه هزاً عنيفاً ويعيدانه إلى مكانه ، يتجمد النبيل الأول في أريكته . يتفوه شيريا ببعض كلمات غير مسموعة . وفجأة يسمع من عمق المسرح أصوات حادة متقطعة لموسيقى غريبة وأصوات موسيقى الصنوج . يصمت النبلاء وهم ينظرون إلى عمق المسرح . ويظهر على الشاشة هناك ، كما في مسرح

الأشباح ، شبح كاليجولا مرتدياً ثياباً قصيرة لراقصة وعلى رأسه اكليل . يقوم ببعض حركات باليه ويختفي . وأثر ذلك يتقدم أحد الخفراء ويعلن قائلاً : «انتهى العرض» . وخلال هذا الوقت تدخل سيزونيا دون أن تثير ضجة وتسير إلى خلف النبلاء . تتحدث بصوت هادئ رزين لكنه يثير فزع الجميع) .

المشهد الخامس

سيزونيا : كلفني كاليجولا بأن أخبركم ، بأن العادة جرت على استدعائكم سابقاً لبحث قضايا الدولة ، إلا أنه يستدعيكم اليوم ليتقاسم معكم المتع الجمالية **(تصمت قليلاً وتتابع بعد برهة بذات اللهجة)** . ويريد أن ينبؤكم أنه سيحصد رأس كل من يرفض تذوق هذه المتع . وارجو أن تعذروني على إلحاحي . إلا أنني مضطرة لأسألكم إن كانت هذه الرقصة جميلة فعلاً .

النبيل الأول : **(بتردد)** . كانت رقصة رائعة ، ياسيزونيا .

النبيل المسن : **(بهيئة الممتن)** . أجل ، ياسيزونيا .

سيزونيا : وماذا عنك ، ياشيريا ؟

شيريا : **(ببرودة)** . كانت فناً صافياً .

سيزونيا : حسن ! سأذهب إلى كاليجولا لأخبره بذلك .

(تخرج سيزونيا)

المشهد السادس

(يدخل هيليكون)

هيليكون : قل لي ، ياشيريا ، أحقاً كان فناً صافياً .

شيريا : إلى حد ما . نعم .

هيليكون : أنا أدرك ، أنك قوي جداً ياشيريا . مزور كأي رجل مخلص .
لكنك تبقى قوياً ، بما فيه الكفاية ، وهذا مالانستطيع أن لانقر به .
وأنا لست بقوتك ، لكنني مع ذلك لن أمكنكم من مس
كاليجولا ، حتى لو أراد هو ذلك .

شيريا : لم أستوعب شيئاً من هذا المونولوج . لكن واجبي يحدوني إلى
امتداحك على هذا الاخلاص . فأنا أحب الاخلاص .

هيليكون : وأنت أي متكبر تصنع ؟ أجل ، أنا أخدم مجنوناً . لكن من تخدم
أنت ؟ هل الفضيلة ؟ والآن أصرح لك برأيي بهذا الخصوص.
ولدت عبداً أي كنت انساناً سوياً . وحين أصبحت يافعاً ،
وانطلاقاً من دوافع الفضيلة ، أجبروني على جلد الناس بالسياط .
ولم يكن كايوس يتحدث معي بشكل جميل ، إلا أنه حررني
وأخذني إلى قصره . وهناك تسنى لي التبصر بأخيكم ، أيها
الفضلاء . وأثناء ذلك رأيت أنكم تحوزون على وجوه قذرة ورائحة
رديئة ، رائحة الناس ، الذين لايعرفون لاالمعاناة ولاالمخاطرة .
شاهدت ملابساً جميلة باهية ، أما القلوب فكانت نائصة والوجوه
جشعة والأيادي مرتجفة . وهؤلاء هم أنتم ـ أيها القضاة ؟ أنتم ،
يامن تاجرتم بالفضيلة بالمفرق والآن تحلمون بحياة رغيدة ، كما
تحلم الصبايا بالحب ، لكنكم ستموتون جزعاً ، قبل أن تدركوا
افككم في هذه الحياة . وأنتم الآن تريدون أن تحاكموا من عانى
باستمرار والذي ماانقطع نزفه للدماء ، من آلاف جروح جديدة ؟
وهذا العبد ، الذي تكرهونه هو أرفع مقاماً من فضيلتكم ، لأنه
لايزال يكن حباً لصاحبكم التعس وسوف يحميه من أكاذيبكم
الباطلة ومن اتهاماتكم الغادرة . . .

شيريا : ياعزيزي هيليكون . . لقد تصادمت مع علم البلاغة . وأقسم

بشرفي أن ذوقك سابقاً كان أفضل مما هو عليه اليوم .

هيليكون : اتقصد ترددي . هذا ماتعنيه معاشرتكم الدائمة . حيث تصبح شعيرات آذان الأصحاب القدامى متساوية ، وفي نهاية المطاف يصبحون الخالق الناطق . لكنني سأقوم بتقويم ذاتي ، فلا تقلق ، لكن . . .انظر هنا ، هل ترى هذا الوجه ؟ إذن ، تمعن جيداً ، أجل ، رائع ، كنت قد شاهدت عدوك . **(يخرج)** .

المشهد السابع

شيريا : والآن ، يجب أن نسرع في تنفيذ مانبتغي . أمكثا هنا حتى المساء ، حيث سيصل عددنا إلى المئة . **(يتوجه خارجاً)** .

النبيل المسن : بل امكثا أنتما ! فأنا أفضل الذهاب . **(يسحب الهواء عن طريق الأنف)** . أشم رائحة الموت من حولي .

النبيل الأول : أو رائحة مستنقع نتن . **(في حزن)** . قلت أن تلك الرقصة ، كانت رائعة .

النبيل المسن : **(لابأس)** . بمعنى ما ، الأمر هكذا ، الأمر هكذا . **(يدخل عدد كبير من النبلاء والفرسان باندفاع)** .

المشهد الثامن

النبيل الثاني : ماالذي يجري هنا ؟ أتعلمون أن القيصر يستدعينا ؟

النبيل المسن : **(شارد البال)** . لعله من أجل الرقص .

النبيل الثاني : أي رقص ؟

النبيل المسن : نعم ، إلى المتع الجمالية .

النبيل الثالث : أظن أن كاليجولا عليلٌ جداً .

النبيل الأول : أحقاً ، هكذا الأمر .

النبيل الثالث : ماذا ألم به (**باستبشار**) . ياآلهتي ، أهو مشرف على الموت ؟
النبيل الأول : لا ، توديك أفكارك إلى البعيد . فمرضه لايميت سوى الآخرين .
النبيل المسن : إذا جاز التعبير كذلك .
النبيل الثاني : افهم ماتعنيه ، أليس به مرض أقل جدية وأكثر خيراً لنا ؟
النبيل الأول : كلا . فمرضه هذا لايحتمل المزاح . وأنا أستميحكم عذراً لأنني ذاهب للقاء شيريا . (**يخرج**) .
(تدخل سيزونيا ، تمر برهة صمت قصيرة)

المشهد التاسع

سيزونيا : (**بلامبالاة**) . يعاني كاليجولا من ألم في معدته . وقد تقيأ دماً . (**يتجمهر النبلاء حولها**) .
النبيل الثاني : يا آلهتي العظيمة ، القادرة على كل شيء ، أعطيك عهداً بأنني سأتبرع بمئتي ألف دينار للخزينة ، إذا تماثل للشفاء .
النبيل الثالث : (**بحمية عالية**) . ياإلهي جوبيتر ! أفديه بحياتي . (**كان قد مضى على دخول كاليجولا برهة من الوقت وهو صاغي لما يقال**) .
كاليجولا : (**يدنو من النبيل الثاني**) . قبلت هديتك يالوسيوس وأشكرك على ذلك . سيصل وكيل الخزينة إلى طرفك غداً . (**يدنو من النبيل الثالث ويعانقه**) . لاأستطيع أن أصف لك مدى تأثري بذلك . (**يصمت فجأة**) . أتحبني إلى هذا الحد ؟
النبيل الثالث : (**بعواطف جياشة**) . أجل أيها القيصر . فمهما قدمت في سبيلك ، يبقى قليلاً .
كاليجولا : (**يعانقه ثانية**) . آخ ، هذا كثير جداً ياليبيدوس . فأنا لست أهلاً

لمثل هذا القدر من الحب . **(يومئ ليبيدوس إيماءة احتجاج)** . كلا ، كلا . أقول لك ، بأني لست أهلاً لذلك . **(يستدعي خفيرين)** . اخرجوه . **(الطفوا به)** . اذهب ياصديقي وتذكر أن قلب كاليجولا معك .

النبيل الثالث : **(باضطراب قليل)** . لكن ، إلى أين هم ذاهبون بي .

كاليجولا : كيف إلى أين ؟ إلى الموت . ألم تهبني حياتك فداءً وأنا الآن أشعر بالانتعاش من جديد . لدرجة أن مذاق الدم الكريه غاب عن حلقي . شفيتني تماماً ياليبيدوس . وأنت سعيد ، لأنك استطعت تقديم حياتك فداءاً لحياة أخرى ، وصاحب هذه الحياة ، يدعى كاليجولا . أما أنا فقد استعدت عافيتي وأستطيع الآن الاستمتاع بمباهج الحياة .

(يسحب الخفيران النبيل الثالث وهو يقاوم ويصرخ ويولول) .

النبيل الثالث : لكنني لاأريد . إنها مهزلة !

كاليجولا : **(حالماً بين الولولات)** . قريباً سوف نفرش الطريق الذي يمر فوق البحر بنباتات الست المستحية . وسترتدي النساء ملابس شفافة هفهافة من الحرير الناعم . أما السماء العالية فستكون نقية وصافية ياليبيدوس ! والحياة ستبتسم ابتسامات لاأجمل . .

(وصل ليبيدوس باب الخروج . تدفعه سيزونيا برفق) .

كاليجولا : **(يتلفت فجأة باتجاه ليبيدوس)** . الحياة صديقتي . لو أحببتها كما يجب ، لما كنت تلعب بها باستخفاف . **(يشحب ليبيدوس ويختفي أخيراً)**

كاليجولا : **(يعود إلى المنضدة)** . عندما تخسر ، يجب أن تدفع . **(برهة صمت)** . اقتربي إلى هنا ياسيزونيا . **(يتحول إلى الآخرين)** . والآن خطرت على ذهني فكرة رائعة ، وأنا أريد أن أتقاسمها

معكم . حتى يومنا هذا ، عاشت امبراطورية بيمن ويسر وسعادة . لاوباء طاعون ولا مناسك دينية قاسية ، حتى بدون انقلاب حكومي . أعني أن لاشيء هناك ، نستطيع ابقاءه في ذاكرة عقبانا . لذا رأيت من واجبي استبدال هذا القدر الراكد . ولست أدري ، هل أدركتم ماأريد . **(يضحك ضحكة صغيرة)** . بكلمة أخرى . أريد أن أتبادل الدور مع وباء الطاعون . **(بلهجة أخرى)** . والآن اخرسوا . هاهو شيريا قادم . انشغلي بهم ياسيزونيا . **(يخرج)** .

(يدخل شيريا والنبيل الأول) .

المشهد العاشر

(تهرع سيزونيا بأناة إلى شيريا)

سيزونيا : لقد مات كاليجولا .

(تواري وجهها وتمثل البكاء . بعدها تأخذ بتمعن الجميع . الآخرون صامتون . وهم بحالة انقباض ، لكن لسبب آخر) .

النبيل الأول : أواه . . . هل أنتِ متأكدة من وقوع الكارثة ؟ هذا مستحيل . منذ هنيهة كان يرقص .

سيزونيا : هكذا . فقد أودى الاجهاد المفرط بحياته .

(يحوم شيريا حول الحاضرين بخطوات سريعة ، يتنقل من واحد إلا آخر ويعود إلى سيزونيا . يحافظ الجميع على صمتهم) .

سيزونيا : **(بتؤدة)** . أنت لم تقل شيئاً ، ياشيريا .

شيريا : **(بتؤدة أيضاً)** . إنه مصاب جلل ، ياسيزونيا .

(يدخل كاليجولا ويتوجه إلى شيريا وإمارات الغضب بادية على محياه)

كاليجولا : أجدت التمثيل ، ياشيريا . **(يدور إلى الوراء وينظر إلى الآخرين مرحاً)** . ماذا ! ياسيزونيا . لاتنسي ماقلته لك . **(يخرج)** .

المشهد الحادي عشر

(تراقبه سيزونيا وهو منصرف والصمت مخيم على الجميع)

النبيل المسن : **(كمن لايزال يأمل مخرجاً ما)** . هل هو مريض فعلاً ياسيزونيا ؟

سيزونيا : **(تحدق فيه بكراهية)** . لاياعزيزتي الجميلة . فالأمر الذي تجهلينه عن هذا الرجل ـ هو أنه لاينام إلا ساعتين ليلاً . وماتبقى من الوقت يقضيه حائماً في أروقة القيصر ، فالنعاس لايأتيه . أنت لاتعلم ذلك ، بل حتى أنك لاتستطيع تخمين الأفكار التي تراود ذهنه في مثل هذه الساعات المظلمة ، الواقعة بين منتصف الليل ومطلع الفجر . مريض ؟ لا ، إنه ليس بمريض ، هل تستطيع اختراع دواء يعالج قروحه الدامية والتي تملأ روحه .

شيريا : **(متأثراً بقولها)** . أنتِ على حق ، ياسيزونيا . نحن لانعلم أن كايوس . . . .

سيزونيا : **(تقاطعه وتقول بحيوية أكثر)** . أجل ، أنتم لاتعرفون لكنكم ككل الذين لايملكون روحاً ، لن تستطيعوا تحمل أصحاب القلوب الخفاقة . وأنتم أيها السعداء تنفرون من رؤية التعساء . . . ومن يملك قلباً نابضاً يعكر صفوكم ، تسمونه مريضاً . أما البلداء ذوي الشفاه السميكة فينامون قريري العين مرتاحي الضمير .
(بلهجة أخرى) . هل حاولت أن تعشق في يوم من الأيام ياشيريا ؟

شيريا : **(يقف وحيداً من جديد)** : بلغنا عتياً من العمر . وهذا عمر

لايصلح لتعلم مثل هذه الأمور ، ياسيزونيا . كما أن كاليجولا ذاته ، لايعطينا الوقت اللازم لذلك .

سيزونيا : **(متماسكة)** . هذه هي الحقيقة . **(تجلس)** . كدت أنسى المهمة ، التي كلفني بها كاليجولا . أتعلمون أن يومنا هذا مخصص للفن .

النبيل المسن : حسب التقويم ؟

سيزونيا : كلا ، بل حسب ارادة كاليجولا . فهو كان قد دعا عدداً من الشعراء ، سيقترح عليهم أن يتباروا شعراً حول موضوع معين . وبيننا يوجد شعراء أيضاً . ويود كاليجولا أن يشاركوا في هذه المباراة بشكل فعال . وخص بالذكر الفتى سيبيون وميثيليوس .

ميثيليوس : لكننا لم نستعد لذلك .

سيزونيا : **(تابعت بذات اللهجة وكأنها لم تستمع لما قاله)** .
طبعاً ، سيكون هنالك جوائز وعقوبات أيضاً .
(الجميع ينكصون) .
وسأبوح لكم بسر شريطة أن يبقى بيننا . إن العقوبات لن تكون قاسية جداً .
(يدخل كاليجولا مكفهراً ، أكثر من أي قت مضى) .

المشهد الثاني عشر

كاليجولا : أكل شيء جاهز ؟

سيزونيا : أجل ، كل شيء **(توجه حديثها إلى الخفير)** . استقدم الشعراء .
(يدخل اثنا عشر شاعراً على شكل رتل ثنائي ويسيرون بخطوات منتظمة ، ويدورون إلى اليمين) .

كاليجولا : أين الآخرون ؟

سيزونيا : **(تنادي)** . سيبيون وميثيليوس !

(ينظم كلا من سيبيون وميثيليوس إلى الشعراء الآخرين . يجلس كاليجولا وسيزونيا والنبلاء في الطرف الأيسر من خشبة المسرح وتمضي برهة صمت) .

كاليجولا : الموضوع ـ الموت . والزمن ـ دقيقة .

(يباشر الشعراء الكتابة بسرعة على ألواحهم) .

النبيل المسن : ومن سيكون الحكم ؟

كاليجولا : أنا . ألا يكفي هذا ؟

النبيل المسن : أجل ، كل الكفاية . . .

شيريا : هل ستشارك في المباراة ، ياكايوس ؟

كاليجولا : لاداعي لذلك . كنت قد نظمت قصيدة حول هذا الموضوع منذ زمن بعيد .

النبيل المسن : **(بلهفة)** . وأين يمكن الحصول عليها ؟

كاليجولا : انشدها صباحَ مساء . . .

(تنظر سيزونيا إليه باضطراب) .

كاليجولا : **(بخشونة)** . ألم يعجبكِ محياي ؟

سيزونيا : **(بلطف)** . اعذرني ، أرجو المغفرة . . .

كاليجولا : من فضلك . لاأريد مزيداً من الاستكانة . أي شيء ماعداها . فأنت من الصعوبة تحملك ، فكيف استكانتك ! . . **(تحاول سيزونيا أن تتماسك) .**

كاليجولا : **(موجهاً حديثه إلى شيريا)** . ماعدا هذه القصيدة لم أكتب شيئاً . إلا أنها تبرهن على أنني الفنان الأوحد على مدى تاريخ روما بالكامل . أتسمعني ياشيريا . وأنا الوحيد ، الذي تتطابق أفعاله مع أفكاره .

شيريا : هذا يعود لما تتمتع به من سلطة ونفوذ .

كاليجولا : أجل . والآخرون يدعون لأنهم محرومون من السلطة . أما أنا فلا حاجة لي للابداع ، لأن دوري في الحياة ينحصر بأمور أخرى .
(بخشونة) . آ ، أنتم ، ماذا ، هل انتهيتم من نظم الشعر ؟

ميثيليوس : أظن ، نعم .

الجميع : نعم . . .

كاليجولا : عندها ، اصغوا إليَّ جيداً . . . سوف تتقدمون إلى الأمام حسب الدور . وعندما تسمعون صوت الصفارة ، يتقدم الأول ويبدأ بالالقاء . وإذا أطلقت صفرة ثانية يتوقف الأول ويبدأ الذي يليه . وهكذا دواليك . وسينتصر ذلك ، الذي لاتقاطعه صفارتي . استعدوا ! **(ينحني إلى شيريا ، كمن يفضي له بسر)** . في كل أمر نحتاج إلى نظام حديدي ، حتى في الفن . **(صوت الصفارة)** .

الشاعر الأول : الموت ، عندما يأتي الموت
من الشاطئ الأسود . . .
(صوت الصفارة ، ينزاح الشاعر إلى اليسار . ويخطو الآخرون نفس العدد من الخطوات وبذات الاتجاه) .

الشاعر الثاني : ثلاث حدائق في أغوارك . . .
(صوت الصفارة) .

الشاعر الثالث : استدعيك أيها الموت . . . .
(صدور صفرة غاضبة) .
(يتقدم الشاعر الرابع إلى الأمام ويتهيأ للتلاوة ، لكن صوت الصفارة يصدر ، قبل أن يتفوه بأية كلمة) .

الشاعر الخامس : عندما كنت طفلاً . . .

كاليجولا : (يزعق) . لا ! وأي علاقة هنالك بين الموت وطفولة شيطان

مثلك ؟ هل تستطيع أن تشرح لي هذه العلاقة ؟

الشاعر الخامس : لكنني ياكايوس ، لم أنته بعد . . .

(صفرة حادة) .

الشاعر السادس : **(يتقدم إلى الأمام وهو يَسعل بشكل حاد)** .

القاسية ، تتهادى . . .

(صوت الصفارة) .

الشاعر السابع : **(بغموض)** . صلاة غامضة مبهمة . . .

(صفرة متقطعة) .

(يتقدم سيبيون إلى الأمام دون أن يحمل لوحاً) .

كاليجولا : جاء دورك ياسيبيون . ألا تحمل لوحاً ؟

سيبيون : لاحاجة لي به .

كاليجولا : سنرى . **(يعض على صفارته)** .

سيبيون : **(يقف قريباً من كاليجولا ، غير ناظر إليه ويبدو عليه الأعياء)** .

تمنيت السعادة لتطهر النفوس
في السماء ، حيث تضطجع الشمس
أفراحي انطوائية
وهرائي لاأمل له ! . . .

كاليجولا : **(بلطف)** . يكفي أرجوك ياسيبيون . لاتزال في ريعان الصبا ، ولاحاجة لك في استيعاب دروس الموت .

سيبيون : **(متمعناً بعيون كاليجولا)** . كنت في ريعان الصبا ، قبل أن أفقد والدي .

كاليجولا : **(يلتفت بحدة إلى الآخرين)** وأنتم ، أيها الآخرون ، قاربوا صفوفكم . شاعر سيء ـ إنها تجربة قاسية ، وذوقي لايتحملها . حتى هذه اللحظة ، كنت أرى فيكم أنصاراً لي ، حتى أنني أحياناً

كنت على قناعة بأنكم ستشكلون خط الدفاع الأخير عني .
الشعراء يقفون ضدي ! إنها النهاية .
أمام سر ! مروا من أمامي مشرعين ألواحكم . وكل واحد منكم يقوم بلحس آثار سفالاته . انتباه ! إلى الأمام !

(يجري المسير على أنغام صفارة كاليجولا ، يسير الشعراء باتجاه المخرج اليميني ويتركون وهم سائرون ألواحهم الخالدة ، بعد أن لحس كل منهم لوحه) .

كاليجولا : **(بهدوء تام)** . انصرفوا جميعاً .

(يمسك شيريا بمنكبي النبيل الأول عند الباب) .

شيريا : لقد حانت الساعة .

(عندما يسمع سيبيون هذه العبارة يتباطأ عند العتبة ويكر عائداً إلى كاليجولا) .

كاليجولا : (بشراسة) . ألا تريد أن تريحني من وجهك بهدوء ؟ كما فعل أبوك .

المشهد الثالث عشر

سيبيون : كفى ياكايوس . هذا لايفيدك بشيء . كنت قد توصلت إلى قناعة تفيد بأنك صنعت خيارك الأخير .

كاليجولا : دعني !

سيبيون : سأدعك فعلاً . لأنه يتراءى لي أنني أصبحت عميق المعرفة بشخصك . لامن أجلك ولامن أجلي ، بل لأنه لاخيار هناك . وسأبتعد عنك لأبحث عن تفسير لذلك . **(برهة صمت ينظر خلالها إلى كاليجولا برأفة)** . وداعاً ياعزيزي كايوس . وعندما ينتهي كل شيء ، لاتنسى أني أحبك . **(يخرج)** .

(ينظر كاليجولا بإثره ويقوم بحركة ما ، إلا أنه يعود إلى توازنه ويسلط بصره إلى سيزونيا) .

سيزونيا : ماالذي قاله ؟

كاليجولا : ماقاله ، فوق طاقتك على الاستيعاب .

سيزونيا : بماذا تفكر ؟

كاليجولا : أفكر به وبكِ . وأنتما ، على أي حال ، شيء واحد .

سيزونيا : ماذا حدث .

كاليجولا : **(ناظراً إليها)** . خرج سيبيون وانتهت هذه الصداقة . وأنتِ ـ لماذا لاتزالين هنا . . .

سيزونيا : لأنني أثير اعجابك .

كاليجولا : لا ، آه ، لو كنت قد قتلتك ، لكنت أدركت ذلك .

سيزونيا : وليكن . إنها عبارة عن فكرة . حَقِقْها ، إذا كان تحقيقها سيوصلك ، ولو لدقيقة واحدة ، إلى الحياة الحرة .

كاليجولا : أنا ، منذ كثير من السنين ، منكب على العمل لكي أعيش حراً .

سيزونيا : ما أعنيه شيئاً آخراً . افهمني . سيصبح الأمر حسناً ـ أن تعيش وتحب بروحٍ نقية .

كاليجولا : كلٌ يبحث عن النقاء حسب مقدرته . أما أنا فأثناء هذا البحث ، أقوم بتنفيذ الأمر الأكثر أهمية . لكن ومهما كان الأمر ، فأنا أستطيع قتلك . **(يضحك)** . لو حصل ذلك . لكان عبارة عن تاج عظيم على طريق عظمتي . **(يقف كاليجولا ويدير المرآة . بعدها يحوم محاذياً الجدران كالوحش وأيديه معلقة بالهواء دون حركة)** . ياللغرابة . عندما لاأمارس القتل ، أشعر بالوحدة . فالأحياء ، في هذه المعمورة ، غير قادرين على تبديد السأمة ، التي تقطن عيني . والأمور تسير على مايرام بيني وبين أمواتي فقط .

(يقف مواجهاً النظارة منحنياً إلى الأمام قليلاً . ويبدو عليه أنه نسي أمر سيزونيا) .

إنهم الأجدر . كما أنا بالضبط . ينتظرونني ويتحملونني **(يهز رأسه)** . أتباحث مرة مع هذا وأخرى مع ذاك . ومنهم من يتقدم طالباً الرحمة ، لأنني أمرت بقص لسانه .

سيزونيا : تعال إلى هنا . اضطجع بالقرب مني . ضع رأسك على فخذي .

(ينفذ كاليجولا ما أمر به) .

هل أنت على مايرام . إهدأ .

كاليجولا : الهدوء ! أنت تبسطين الأمور . ألا تسمعي قرقعة الأسلحة ؟

(تسمع قرقعة أسلحة) .

ألا تلاحظين آلاف الخشخشات ، تعلن أن الكراهية تجلس في كمين ؟

(تذمرٌ مبهم) .

سيزونيا : لاأحد يتجاسر . . .

كاليجولا : ماعدا الحماقة .

سيزونيا : هي لاتقتل . بل تجعل الناس أكثر حذراً .

كاليجولا : إنها تحمل الموت ياسيزونيا . إنها تحمل الموت . وعندها تشعر نفسك مهاناً . لن يقتلني أولئك ، من قتلت أبائهم أو أبناءهم . هؤلاء أدركوا أن فمي وأفواههم تعج بذات النكهة . لكن سيقوم بذلك آخرون ، من استهزأت بهم وجعلتهم مسخرةً وأنا لاأملك الحماية الكافية عن الجروح التي أحاقت بنرجسيتهم .

سيزونيا : **(بحماس)** . سنحميك . لانزال أكثر . نحن الذين نحبك .

كاليجولا : إنكم تتناقصون باستمرار . وأنا كنت السبب في ذلك . واعترف الآن ، أن ضدي لاتقف الحماقة فحسب ، بل الرجولة والاخلاص

أيضاً . هاتان الخصلتان اللتان يتمتع بهما كل من يريد أن يصبح سعيداً .

سيزونيا : **(بحماس)** . لا ، لن يقتلونك . أو سترسل السماء صاعقة ، تصعقهم قبل أن يتجرأوا الاقدام على ذلك .

كاليجولا : من السماوات ! لاتوجد هنالك أية سماوات ، أيتها الفقيرة . **(يقف)** . لكن ماهذا الحب المتدفق فجأة ؟ فهذا لايدخل ضمن قناعاتنا .

سيزونيا : **(تقف وتقرر المُضي)** . أيعني ذلك ، أنه لايكفي أن أشاهد كيف تقتل الآخرين ، بل يجب عليَّ أيضاً مشاهدة كيف سيقتلونك ؟ ألا يكفي قدومك إليَّ غاضباً ومضطرباً ورائحة الموت التي أشمها وأنت تضاجعني ؟ فأنا كل يوم أراقب الموت المتدرج للانسانية فيك . **(تستديرنحوه)** . كَبُرَ سني وقريباً سيميل شكلي إلى البشاعة . أنا أعرف ذلك . لكن روحي لاتفكر إلا بك ، واصبح أمر محبتك لي أو عدمها سيان . ماأريده فقط : أن أراك شافياً . إنك لاتزال طفلاً . ولاتزال الحياة رحبة أمامك . وماتستطيع عمله ، تعجز عنه الحياة .

كاليجولا : **(يقف ويحدق فيها)** . طال مكوثك هنا .

سيزونيا : أجل . لكنك لاتنوي طردي ، حقاً ؟

كاليجولا : لاأدري . الأمر الذي أعرفه ، أنك مازلتِ هنا ، وجميع الليالي ، التي قدمتي ليَّ فيها المتعة المرة والحزينة وأنك تعرفين الشيء الكثير عني . **(يعانقها ويحني رأسها قليلاً إلى الخلف)** . عمري تسعة وعشرين عاماً إنه قليل . لكن عندما تحين الساعة ، التي أرى فيها أن حياتي ستطول وستصبح مفعمة ببقايا الماضي أو أنها ستنتهي ، ستبقين الشاهد الأخير . وأنا أستطيع أن أُقاوم لطف إمرأة مسنة ،

ستصبحينها عما قريب .

سيزونيا : قل لي . لماذا لاتطردني ؟

كاليجولا : لاأدري . أدرك فقط ـ ماهو أكثر رعباً وهو أن هذا اللطف المعيب ، هو الشعور الوحيد النقي ، الذي وهبتني إياه هذه الحياة .

(تحرر سيزونيا نفسها من عناقه ، تقف وتمشي . يتبعها كاليجولا ، يلتصق بها من الخلف ويحيطها بذراعيه) .

كاليجولا : أليس من الأفضل ، أن يختفي الشاهد الأخير ؟

سيزونيا : بالنسبة لي ، الأمر سيان . وأنا سعيدة بما قلت . لكن ، لماذا لاأستطيع أن أقاسمك هذه السعادة ؟

كاليجولا : من قال لك ، إنني لست سعيداً ؟

سيزونيا : السعادة ـ هي الروح العظيمة . فهي لاتسحق الآخرين من أجل أن تعيش .

كاليجولا : إذن . هنالك شكلان للسعادة . وأنا أخترت ، تلك التي تحمل الموت . وأنا سعيد . غَرُبَ ذلك الزمن ، الذي ظننت فيه أنني وصلت إلى الحدود القصوى للمعاناة . وأنا الآن أستطيع متابعة المسير . وخارج حدود بلادي ، تجدين سعادة عظيمة وعقيمة في نفس الوقت . انظري إليّ .

(تستدير باتجاهه) .

أضحك ياسيزونيا ، عندما أتذكر أن روما كاملة ، لم تنس ولا لسنة واحدة ترديد اسم دروزيلا . فروما لم تقع في ضلال أبداً . أما ماينقصني فهو الحب ، وهذا ماأدركته سابقاً . واليوم وكما كنت في السابق ، أفكر وأنا أنظر إليك ـ أن تحبي انساناً ما ، هذا يعني أنك توافقين أن تشيخي معه . وأنا غير قادر على مثل هذا الحب . ودروزيلا القديمة ـ أسوأ كثيراً من دروزيلا الميتة . يتراءى

لك أن الانسان يعاني من حقيقة أن المخلوق الحبيب يموت فجأة . لا ، فالمعاناة الحقيقية ليست هراءً ، إنها تصل حينما نرى أن هنالك نهاية للمصائب . حتى أن الجزع هو أمر فاقد للمعنى . لهذا ترين أنني لاأوجد العدل في ضلال الحب و لا في مرارة الحزن . وأشعر اليوم أنني أكثر حرية مما كانت عليه حالتي في السنوات الماضية . فقد تحررت من الذكريات والأوهام . **(يضحك بجلاء)** . وأنا أؤمن أن لكل منها نهايته ! ماهذا الاكتشاف ؟ كان عدونا اثنان أو ثلاثة عبر التاريخ ، منهم من اختبر ذلك فعلاً ، ومنهم من عانى من هذه السعادة المجنونة . ياسيزونيا ! أنت من عاش هذه التراجيديا الممتعة إلى نهايتها . وحان الوقت لاسدال الستار عليك . **(يقف من جديد خلف سيزونيا ويسور عنقها بيديه)** .

سيزونيا : **(جزعة)** . هل هذه الحرية الفظيعة - هي السعادة بأم عينها ؟

كاليجولا : **(يزيد من الضغط على عنقها)** . هي بالذات ياسيزونيا وبدونها لم أكن راضياً وبفضلها استحوذت القدرة على الاستبصار كالآلهة التوحيدية .

(يزداد اضطرابه كلما أخذ يشد على خناق سيزونيا . وهي لاتبدي أية مقاومة ، ماعدا أنها تمد ذراعاها إلى الأمام ويتكلم وهو ينحني كأنه يوشوشها) .

أنا أعيش ، إذن أنا أقتل ، إذن أنا أمتلك عظمة مدمر ، التي أمامها تصبح عظمة المبدع لاشيء يذكر . هذا ماتعنيه السعادة - الحرية المطلقة ، الحقد على كل ماهو موجود على الأرض والدم ونشر الكراهية والعزلة المنقطعة النظير لانسان يتمعن الحياة والأفراح لقاتل خارج عن القانون والمنطق ، قلبه لايرحم ولاينفك عن طحن

حيوات البشر **(يضحك)** ، وحياتك أيضاً ياسيزونيا . اريد أن أنفرد في قيادة عصر العصور .

سيزونيا : **(تقاوم بوهن)** . ياكايوس .

كاليجولا : **(خارجاً عن طوره)** . لا ، لن تحلمي بأية رحمة . يجب أن أنتهي من هذا الأمر ، فالزمن لايرحم . الزمن لاينتظر ياعزيزتي سيزونيا .

(سيزونيا تحشرج ، يدعها كاليجولا بعد أن يرميها على الأرض) .

كاليجولا : **(ناظراً إليها نظرة شاردة وبصوت مخنوق)** . أنتِ ، وأنتِ أيضاً كنت مذنبة . لكن لايجوز حل المسائل بالقتل .

المشهد الرابع عشر

كاليجولا : **(يستدير ويتوجه إلى المرآة ، وبهذيان)** .

وأنت أيضاً ياكاليجولا . أنت أيضاً مذنب . قد يكون وزرك أصغر ، وقد يكون أكبر ، فلا فرق هناك .

لكن من يتجرأ على محاكمتك في هذا العالم ، حيث لا محاكم ولا أبرياء ؟ **(بحزن عميق ، يلتصق بالمرآة)** . أترى ، لم يؤب هيليكون . ولم تحصل على القمر . كم هو قاسي على المرء ، العدل الخاص والطريق الطويل إلى النهاية . أخشى النهاية وصليل السيوف ! **(يسمع صليل سيوف)** .

إنهم يحتفلون بالنصر . ليتني كنت مكانهم . إني جزع وارتعد خوفاً . ماهذه السخافة ـ أينتهي كل شيء بالهلع بعد أن قضيت العمر تسخر من الجبناء . لكن ، لاأهمية لذلك ، حتى الخوف له نهاية . والهلع لايدوم . ومن جديد سيسود حولك فراغ فسيح رهيب ، فيه تهدأ الروح .

(يخطو خطوة واحدة إلى الوراء ، ثم يعود إلى المرآة . ويبدو

كأن الهدوء عاد إليه بعض الشيء . ومن جديد يعود إلى الكلام بصوت منخفض هادئ وأكثر تماسكاً) . كل شيء يبدو شديد التعقيد . وكانت الأمور ستسير أفضل ، لو أني حصلت على القمر . ولو رضيت بالحب شريكاً لتغير كل شيء . لكن ، كيف أستطيع ارواء ظمأي ؟ أي قلب حنون وأية آلهة معطائة أحتاج ، ليروياني من بحيرتهما ، التي لاتنضب ؟ **(يسجد على ركبتيه ويبكي)** . لايوجد نظير لي ، لا في هذا العالم ولا في عالم آخر ، مع أنني أعلم وأنتِ تعلمين أيضاً . **(ضاغطاً بيده المرآة)** . أنا لاأحتاج سوى لتحقيق أمر واحد ـ هو المستحيل . بحثت عنه في أطراف العالم وبين حنايا روحي . أمد يدي **(صارخاً)** . ومازلت أمد يدي معتمداً عليك ، وأنتِ دائماً في وجهي . وقلبي لايحمل لك سوى الحقد والبغيضة . لم أسلك السبيل ، الذي كان يتوجب عليَّ سلوكه . لذا لم أصل إلى أي شيء . حريتي ـ وهمية .

يا هيليكون ! ياهيليكون ! لا ، لامن مجيب .

كم هذا الليل مضنياً ؟ لم يصل هيليكون . وسنبقى نتحمل إثم الجريمة إلى ا لأبد . هذه ليلة شدية الوطئة ـ كآلام البشرية .

(يسمع من وراء الكواليس صليل وتراطم أسلحة) .

هيليكون : **(يظهر فجأة في عمق خشبة المسرح)** . إحذر ، ياكايوس ! إحذر !

(يد مجهولة تنحر هيليكون بخنجر . يقف كاليجولا حاملاً طربيزة ، يتنفس بصعوبة ويدنو من المرآة . ينظر إلى ذاته ويمثل كأنه يريد القفز إلى الأمام . وجواباً على حركة صورته في المرآة ، يقذفها بالطربيزة) .

كاليجولا : في ذمة التاريخ ، ياكاليجولا . في ذمة التاريخ .

(تتحطم المرآة . وفي هذه اللحظة يدخل المتآمرون بأسلحتهم من جميع الأبواب . يدور كاليجولا لملاقاتهم بضحكات جنونية . يوجه إليه النبيل المسن ضربة في ظهره ، أما شيريا فيوجه ضربته إلى وجهه . ويتحول ضحك كاليجولا إلى أنين ماقبل الموت . تُصب الضربات إليه من جميع الاتجاهات . ضاحكاً ومتحشرجاً من صحوة الموت ، يصرخ كاليجولا أخيراً) .

مازلت حياً

النهاية

تسدل الستارة

صدر للمترجم

١ ـ موسوعة الحرب الالكترونية	خاص	١٩٩٣
٢ ـ معنى الحياة السعادة والأخلاق	دار حوران	١٩٩٤
٣ ـ نهاية التاريخ	دار الكنوز الأدبية	١٩٩٣
٤ ـ تروتسكي	دار الكنوز الأدبية	١٩٩٣
٥ ـ روزا لوكسمبورغ	دار الحوار	١٩٩١
٦ ـ البرجوازية الصغيرة كمشكلة اجتماعية أخلاقية	دار الحصاد	١٩٩٢
٧ ـ موليير	دار حوران	١٩٩٤
٨ ـ ملفات أدبية	دار الحوار	١٩٩١